

محمد رجب البيومي

من حديث احمد محرم

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

حامل القلم مصلح ذو رسالة ، فهو يحمل المشعل ليقود الركب حين تدلهم الحنادس ، وتشتد الحيرة ، ومنهجه منهج الصالحين ، يدعو الى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتي هي أحسن ، تلك هي رسالة صاحب القلم ان كان ذا نفس شريفة ترسل بوارقها اللامعة لتضيء الكون ، فاذا تنكب سبيل الحق ، فلن يكون الاديب المثالي مهما سود الصحف ، وحبر الاوراق .

وقد ابتلي الناس بمن استجابوا لنزواتهم الشخصية من الكتاب والشعراء فصدروا في ادبهم المريض عن انانية مسرفة تتجه الى التسلق الفضولي دون تقدير لرسالة القلم في احقاق الحق ، وازهاق الباطل ومن هؤلاء من واتتهم الشهرة الزائفة ، والجاه العريض فظنوا انهم بلغوا القمة عن جدارة صائبة واصالة عريقة ، ولكنهم يخدعون انفسهم بهذا الظن الكاذب ، لان من وراء الستار عيونا تنظر ورؤوسا تفكر واحكاما تدفع الجائرين وتمجد المعتدلين ، وسبيلنا الآن ان نتحدث عن شاعر حفظ امانة القلم ، فصان مروءته وصار وجيها في الدنيا والآخرة ، وهو شاعر الاسلام في ديار العروبة احمد محرم نضر الله ثراه .

لقد كتب الاستاذ محمد كرد علي بعض مذكراته الادبية بمجلة « الثقافة » عام ١٩٤٠ ، فذكر احمد محرم بين من عرفهم من ادباء مصر اللامعين في مقال تاريخي شائق ، وكان الشاعر الكبير لا يزال على قيد الحياة فعقب على مقال الاستاذ محمد كرد علي بمقال لاحق فصل فيه كيف تم اللقاء الاول بينه وبين الاستاذ كرد علي رحمهما الله فسرد من الذكريات ما يفيد في مجال القدوة الصالحة والاسوة الحسنة ، وسنوجز ما يشير الى ذلك لنبين كيف يحرص الاديب الحر على نزاهة النفس وراحة الضمير !

كانت بمصر لاوائل هذا القرن جريدة تسمى « الرائد المصري » تهتم بالشؤون السياسية والادبية معا ، وكان احمد محرم بين من يخصونها بشعره ونثره ، حتى اشتهرت به واشتهر بها حقبة من الزمن ، وكان لا يزال فتى يافعا يقبع في دمنهور دون ان تأخذ عينيه اضواء العاصمة الكبرى ، ثم واتته الفرصة اذ جاءته رسالة صاحب الرائد المصري تدعوه الى العمل بالجريدة محررا دائما يقيم بالقاهرة ويتناول الراتب المجزيء ، فعرض الامر على أبيه فرآها فرصة سانحة لتألق مجده ، وانتشار ادبه ، وهيأ له كل سبيل لسرعة التنفيذ موصيا اياه بالكياسة والحيطة ليأخذ مكانه اللامع بين شعراء العصر وكتابه ، ويطرح عنه خمول الريف .

خف الشاعر الى القاهرة ، واتجه الى ادارة الجريدة ، فشاهد الاستاذ محمد كرد علي اول ما شاهد فتعارفا وتصافحا ، وعلم ان الكاتب السوري هو المحرر الوحيد بالمجلة ، واخذ من لحن الحديث ما يدل على ان الاستاذ كرد علي غير حائز لرضى صاحب الجريدة ، ويخشى ان يبحث عن سواه فلا يجد ما ينفق ، فأسرها محرم في نفسه ، وفكر وقدر .

ثم توجه الى مقابلة صاحب الجريدة فعانقه في حرارة ، واخبره انه اختاره ليكون صاحب الراي في اعداد مواد الجريدة ، وعليه ان يكتب افتتاحياتها ، ثم اوصاه بكتمان الامر عن الاستاذ كرد علي اذ انه يمهد لاستبعاده ، وانتقل الحديث سريعا الى الموضوع الاول الذي ستصدر به افتتاحية العدد القادم ، فقال صاحب الجريدة لمحرم :

ان فلانا ـ يعني بعض الكبار ـ تعرض لغضب الانجليز ، واودع السجن لاسباب اخذت عليه وسيقدم قريبا للمحاكمة ، وبيني وبينه عداء شخصي كما ان بعض الجهات المسؤولة يسرها ، ان تسهم الجريدة في التنديد على السجين واشاعة ما يدينه كيلا يفاجأ الرأي العام بقسوة الحكم عليه ، وعليك الآن ان تجعل المقال الافتتاحي القادم تشهيرا بالرجل وتنديدا به .

فقال محرم دهشا : ولكني اعتقد ان الرجل الكبير بريء ، وان من الظلم الفادح ان نجاري ذوي الاغراض المريضة دون ان نرعى امانة القلم !

فابتسم صاحب الجريدة ابتسامة ماكرة ثم قال في كياسة : انت صغير يا بني ، وستعرف ان المحرر بأي

جريدة لا يصدر عن رأيه فيما يعتقد في الناس ، ولكنه موظف يأخذ راتبه من صاحب المجلة ، واول واجب عليه ان يضع قلمه خلف توجيهه ، فقم الآن واكتب مقالك الافتتاحي ، لاقرأه في الغد .

فبادره الشاب النزيه بقوله يا سيدي ليس صاحب القلم سلعة في يد أحد ، وما جئت اليك الا لاكتب آرائي الخاصة في جريدتك كما كنت افعل حين أراسل الصحيفة من دمنهور ، فاما اذا رفضت ذلك فلن أبيع كرامتي ، ثم اسرع بالاستئذان فطاف بالاستاذ محمد كرد علي ليقولها له صريحة سافرة : لن يحل مكانك احد يا صديقي .

رجع الشاب الى منهور ، فراسل الصحف الكبرى متفضلا بأدبه وشعره ، وصار له دوي رنان في وادي النيل ، وكان مدير الاقليم لهذا العهد البعيد ، يقرأ شعره موقعا باسمه وعنوان مدينته ثم يتساءل عنه متعجبا كيف لا يخف الشاعر اليه ليمدحه مع المادحين ، اليس يقيم في دمنهور ، فلم لا يسارع الى تهنئة مدير دمنهور في كل مناسبة تحين كما يفعل كثير من ابناء الاقليم .

وجاء الرسول الى محرم حاملا رغبة المدير الكبير في مديحه اياه ، فنظر محرم دهشا ، وسأل رسول المدير ؟ وماذا صنع صاحبك حتى اكيل له المديح ثم عقب على ذلك فقال اذا كان يريد ان يمدح لانه المدير فحسب، فليعلم اني وحدي بدمنهور امدح الاعمال لا الرجال ، فليقم بما يستحق المديح من الجلائل وعلي ان اشيد .

وكان درسا ثانيا القاه شاب ناشىء على مسؤول خطير بعد درسه الاول مع صاحب « الرائد المصري » منذ اسابيع .

هذه ناحية تشير الى خلق الشاعر العظيم ، ولسنا الآن في مجال الحديث عن ادبه اذ سبق لي ان تناولت بعض قصائده بحديث ما اظنه يوفيه حقه وان تكرر وتتابع (١) ، ولكني أسود هذه الاوراق لاشير الى غبن فادح وقع على الشاعر المسكين حين تعرض للحديث عنه من أخلصوا النية وجدوا في البحث فاهتدوا الى خير كثير ، ولكنهم صدقوا بعض ما قيل عنه من ترهات فدونوها دون تمحيص ، واليك مثالا مما نعنيه .

لقد أحسن الدكتور محمد ابراهيم الجيوشي بين اختار احمد محرم موضوعا لنيل درجة الماجستير من معهد الدراسات العربية بالقاهرة فوفق في اختياره كل التوفيق وبذل من الجهد والداب ما يذكر له بالسبق والجلد ! ولكنه تورط في بعض ما كنا نود ان تسلم منه رسالته ، اذ ظن ان كل مواطني محرم في دمنهور من اصلاء وادعياء يصلحون مصدرا لدراسة حياته ، فشد الرحال الى بلدة الشاعر ليجمع عن المخلصين والمغرضين ما يقولون ثم ليعتقد ان جميع ما يسمع مما لا يتطرق اليه الشك ، فأخرج رسالته وبها من الشوك ما يحتاج الى استئصال اذ استمع الباحث الفاضل الى زجال شعبي يهجو الشاعر الكبير بكلام سمج ينحدر الى حضيض وبيء حين اخذ يشتم محرم بأخبث ما يقال ! حتى جعله خنزيرا ! فراى من الامانة ان ينقل هذا القول المسف في رسالته نقلا جانبه الذوق والحساسية ، ولم يكن البحث العلمي في حاجة اليه حتى يقال انه مما لا معدى عنه ! وزاد فنقل عن هذا الزجال من الاسباب والعلل ما لا يسلم امام النقد النزيه .

لقد كان محرم عدوا مبينا لانصار العامية من متعاطي الادب الشعبي ، لانه وهو الشاعر الجزل الاصيل يرى الفصحى اوثق رباط بين ابناء الامة العربية، ويعلم ان دعاة الاستعمار من ذوي الاهواء يدعون الى الآداب الاقليمية ليوهنوا رباط الفصحى الوثيق عن غرض خبيث ، لذلك كتب الشاعر مقالاته الناقدة « عن الادب الساقط » متهكما بالزجل العامي وله وجهة نظره المعقولة في رايه ، ولسنا الآن في مجال تفنيدها او تأييدها ، وقد اخذ باللوم احمد شوقي واسماعيل صبري حين تعاطيا الزجل الشعبي في بعض ما نظما من الابيات .

فالقضية اذن قضية فكرية تدور حول مسألة واضحة في رايه لا تقبل التأويل ، وطبيعي ان ينكر محرم كل ما يقوله زجالو مصر الكبار والصغار معا ــ ولكل وجهة هو موليها ــ فاذا نظم احد الناشئة في دمنهور موطن الشاعر بعض الازجال فلن تلقى اي ترحيب من محرم داعية الفصحى وصاحب القول الجزل ، والشعر الرصين ، فهي عنده من الادب الساقط لا محالة ! هذا رايه الصادق يعلنه في غير مواربة او تحفظ ، وان ضاقت به صدور والتهبت له اكباد !.

ولكن هذا الزجال الناشىء يرى نفسه ندا لمحرم ، فيظن انه يعنيه فيما يتهم به الادب الشعبي ، ويتلمس بعض الاسباب لتقوية هذا الظن المضحك فيزعم ان محرما تضايق منه لان الشاعر الكبير كان يحب فتاة يعرفها الزجال ويؤثرها بانشاده ! فهاجم الادب الشعبي في شخصه ، ورد عليه الزجال هاجيا شاتما ! ويصدق الاستاذ صاحب الرسالة العلمية جميع ما يسمع فيروى القصة كما قالها الند المزعوم ثم يشفعها بهجاء الزجال مع انحداره المسف ، وتلك عثرة لا تقال .

من الجائز ان يكون الشاعر الكبير قد احب حبا عفيفا شريفا دفع اليه دون تفكير ! وليس في الحب العفيف معابة ، واذا ظهرت نوافح هذا الحب فيما سجل الشاعر من قول ، فصاحب الرسالة العلمية مضطرا الى ان يشير الى ذلك في نطاقه المعقول ، اما ان يعتقد ان البحث العلمي في حاجة الى استقراء كلام المغرضين ، ثم

---

١ ــ لي بحوث شتى عن احمد محرم يرى بعضها القارىء في الجزءين الاول والثالث من كتابي « نظرات ادبية » .

بغداد

●

بغداد يا أملي وحبي يـا جنة رفت بقلبي
دنياك تعبق بالطيوب وعن منى الاشواق تنبي
وهواك يعلق بالقلوب ويستثير هوى المحب
لولاك ما عرف الهوى قلبي وأزهر بعد جدب
عام تولى والطيوف تغازل الاشواق قربي
فأصيح من حرق البعاد فلا تجيب ولا تلبي
وأظل أرنو للكرى ينساب من رعشات هدبي
وألملم الاطياف والاشواق في لهف وحب

بغداد يا أخت الجمال ويا ربيعا بعد قفر
أنت الحياة فان صددت ترنحت أحلام فجري
واذا وصلت تهادت الآمال في أنداء عطر
أهواك آسرتي وفي ريا نداك يطيب أسري
أبدا أحن الى ربوعك والحنين رواء عمري
ما بت الا والربيع يطوف في جنات سحر
أترقب الحلم الجميل لعله بالشوق يسري
لأذوب في عطر الندى ويقبل الافياء ثغري

جامعة الكويت — احمد مطلوب

الى تسجيل ما يهرف به الادعياء من هجو فاضح ، فهذا ما كنا نربأ بالباحث عنه ، ولعله في الطبعة الثانية من كتاب « العروبة والاسلام » يتناسى هذا الهجاء الاليم فيمحوه دون تثريب .

لقد قضى الشاعر حياته مضيعا بين قومه حتى جاز له ان يقول في الم :

ديار الشرق هل بك من قطين — دعيني ما الديار وما القطين
ظمئت وفي فمي الادب المصفى — وضعت وفي يدي الكنز الثمين
امن أدبي تظل الطير تبكي — فما ادبي اشدو أم رنين
ظلمت ابي ونفسي ان مثلي — لغال في النوابغ لا يهون
كريم تدفع الاخلاق عنه — ويمنع ركنه الادب الحصين
اقول فيفزع الشعراء صوتي — وما انا في بني وطني ظنين
أشد على الفنون يدي واني — لفي زمن جهالته فنون
لربي ما عملت وعند قومي — ديوني حين تلتمس الديون
وجودي ما عرفتك غير معنى — تغلغل في الخفاء فما يبين
غريق في الظلام ولا مفاص — ولا جسر يلاذ به امين
أظل ويضرب التيار وجهي — فأين انا أحر أم سجين

او يقول :

هذي القصائد ما انتفعت بنظمها — فعلام ارجوها لنفع غلامي
أيفاخر الاقوام من بعدي بها — فلقلما تدري بذاك عظامي
النار اولى بالذي انا جامع — اما لدفء او لنضج طعام
هبني أبا تمام في ابداعه — ماذا يسرك من أبي تمام
اودى فضاع قريضه في معشر — ليسوا بأعراب ولا اعجام

الى امثال هذه الابيات الحائرة أفيجوز لنا بعد موته ان نقسو عليه بنشر الاهاجي اللاذعة وتسجيل الاراجيف الواهية ، فيعز عليه الانصاف بعد الموت كما فقده في الحياة ، مع ما كان يرى من اقبال الدنيا على ادعياء الفن حين تعد لهم المناصب وتمهد لشعرهم المطابع ، ويكسبون الاجر ماديا في الجيب وادبيا في نباهة الذكر وانتشار الدوي ! وانها لمأساة .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي



عامر محمد بحيري

حصـــاد السنـين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

الطبيعـة ..

الطبيعة موضوع خطير ، جليل الشأن ، يأخذ منه بقسط وافر ارباب الشعر والخيال ، واصحاب الدين والفلسفة ، وعلماء النبات والحيوان ... والطبيعة في معناها الاكبر تشمل الكون كله ، بما فيه من مخلوقات الله سبحانه .. ويصل الفكر ببعض الفلاسفة في شأنها الى ما يرادف « الخالق » جل شأنه ، ومن هنا ينزلق بعض الكتاب في تعبيرهم عن « الطبيعة الخلاقة » .. وما اشبه ذلك من التعبيرات المنحرفة التي لا تدل الا على احد امرين .. اما ان صاحبها ملحد ، ينكر الاديان السماوية .. واما انه منساق على غير هدى ، يقلد القائلين بمثل ذلك ، دون بصيرة واعية ، او ادراك سليم ..

ولست ادري في الحقيقة ماذا كان المقصود من جعل « الطبيعة » .. بابا للدراسة في قسم اللغة الانجليزية .. وهي دراسة ادبية محضة .. هل كان المقصود ان نتلقن على استاذنا سنكورت ، وزملائه، حب الطبيعة باعتبارها بابا كبيرا من ابواب الشعر الانجليزي .. ام المراد ان نتعلم عنهم عبادة الطبيعة ، باعتبارها قوة خارقة ، من وراء قوة البشر ، وانها هي المقصود الحقيقي لاولئك الشعراء ، حين يكثرون من ذكر عناصرها او مظاهرها ، في اثواب من الجمال الشعري ، الذي يغلف ما وراءه من اغراض خداعة او مسمومة ، بغلاف شفاف من الوزن والقافية ، والموسيقى الرائعة ، وسمو الخيال ، وجـلال التعبير ؟!

لقد كنت اقرأ « شلي » .. كنت ادمن قراءته .. وكنت اعجب بما يحتوي عليه شعره من جمال ، حين يتحدث عن النبات الحساس .. وعن الريح الغربية العاصفة ، وهي ترتعش في اصفرار واحمرار ، كما يرتعش المريض بالحمى .. وعـن السحابة التي تنام علـى اكتاف الجبال .. وعن القمر الذي يتسلق جدار السماء .. كنت اقرأ كل ذلك فيعجبني ، ويبهرني حتى لاشغف بما فيه من جمال وابداع .. ولكن شيئا من ذلك لم يكن يؤثر قلامة ظفر في ايماني بالله .. ولم اكن لاتصور للحظة واحدة ، ان الشاعر يمكن ان يعني بذلك شيئا لا يحتمله العقل ، يخفيه وراء ذلك الجمال الخلاب .. فان كان يعنيه ـ ومعروف انه كان ملحدا ـ فاني كنت بين احد امرين ، اما ان يغطي جمـال الاسلوب على ما وراءه من هدف بعيد ، فلا التفت له .. واما ان يظهر مقصده واضحا ، فتمجه نفسي حينئذ وتنكره اشد الانكار ..

وقد خرجت من محاضرات الاستاذ سنكورت .. في الطبيعة .. باعجابي بهذا اللون من الشعر ، الذي يشبه شعر الوصف في ادبنا العربي .. فوق ما كان لهذا الاستاذ من طريقة في الالقاء ، لا تخلو من بخبخة ونسنسة ـ على حد تعبير الدكتور طه حسين في حديثه عن المتنبي ـ ولكنها كانت تشوقني الى الاستماع له والاستزادة منه .. فلست انسى انه كان يقرأ قصيدة طويلة بعنوان « الفصول » للشاعر ادموند سبنسر ، لا تزال صور منهـا عالقــة بذهني .. وانه كـان يقرأ قصيــدة « بروتـا لاميـون » للشاعــر نفســه .. فيخفـض ويرفع « بتشديد الفاء المكسورة في الكلمتين » في صوته ، حين يصل الى نهاية كل صمد من اصمادها ، ذات الثمانية عشر شطـرا .. والتي يقول فيها الشاعر مخاطبا نهر التيمس :

« ايها التيمس الجميل ! فلتجر ناعما ، هامئا ، متهئدا .. حتى اتم لك اغنيتي ! »

وعندما شرعت في جمع ديوان « اليخت الذهبي » .. وتقسيمه الى ابواب ، كانت لدي حصيلة طيبة ، مما يمكن ان يسمى شعر الطبيعة.. وهي هنا طبيعة مصرية ، عربية في مصدرها وفي التعبير عنها ، ولكنهـا تزيد على شعر الوصف المجرد ، بما اكتسبته مـن هـذه القرارات والدراسات الغربية .. ومن هنا كان باب « الطبيعة » في الديـوان ، بابا من ابوابه الرئيسية .. على انني في نظرتي الحالية لذلك التقسيم اجد ان روحا عامة كانت تشمله . مما كان يجعل بعض قصائد البـاب توجد في غيره .. ومن هنا كان وضع قصيدتي التعارف بين الطـلاب القدامى والجدد ، في باب الجامعيات .. وهما اجدر ان توضعا في باب الطبيعة ..

الاولى هي قصيدة « الاخاء » .. وقد القيت بجزيرة الشاي فـي احدى حفلات التعارف .. تقول الفقرة الاولى :

ايه يا دار ! كل مـا بـك حسن صيغ فنا من الفنون الجميلـه
فيك شعر ، وفيك ورد شبـاب واخـاء ، ورحمة ، وفضيلـه
وحواليك روضة .. سقسق العصفور فيها .. واخضر ثوب الخميله
وجرى الجدول المصفق .. بالنو ر .. يرى نرجس المياه سبيلـه
واماني فـي الشباب اتيحـت هي بعد انصرافه .. مستحيلـه

وبعد هذا المرور العابر على الطبيعة في الصمد الاول ، الذي يكاد يكون تسجيلا لها ، واظهارا لاصباغها والوانها .. يأتي الصمد الثاني لبعث الحياة في هذه المظاهر الجميلة في صمت وسكون .. فيقول :

يا يدا .. مشعل الهدى ضوأته يسكب النور في رياض القـرون
ارفعيه .. فان فيــه الاماني مشعلات بكهربـاء الفنـون
يوقظ الورد ، والبنفسج ، واللبـ لاب .. في مقمر الدجى المفتون
ويثير الافكار .. في سعف النخـل .. وفي الجدول المغني الحنـون
ارفعيـه .. فانــه أبـدي كاشف البحر ، منقذ للسفـن

فاذا ما استيقظ الورد واللبلاب ، وثارت الافكار في سعف النخل .. تحركت كل مظاهر الطبيعة ودبت الحركة والنشاط في دار الفنون.. وهي ذلك العالم الروحي ، الذي يعد وطنا للجميع .. يلتقون فيه على هوى الطبيعة والشعر .. ويتفانون في خدمة العلم كالنحلة الدائبـة

على عملها .. وهكذا يثمر زرع الاخاء ما يرجى له من ثمر .. ولذلك يوصف الاخاء في الصمد الاخير بانه ذلك الطائر الذهبي الخالد ..

سوف يحيى الاخاء في الخلد طيرا   ذهبيا ، وتصدا الاجسام
تستحيل الوجوه في الفكر وهما   عجبي ، كيف تخلد الاحلام
كل هذا الجمال يمضي هباء   ويظل النشيد ، والانغام
ويظل الاخاء .. في عنق الايام .. عقدا يشع منه النظام
ان ذهبنا .. فسوف يخبر عنا   صادق الحب، والصفاء، والسلام
ولقد ذهبنا .. فليت شعري حدث عنا الاخاء والحب .. كما

تصور الشاعر ذلك ، في لحظة رائقة ، من لحظات صباه البعيد ؟!

اما القصيدة الثانية من قصائد التعارف .. فهي قصيدة « جيل من النور » .. وسنقتصر على ما فيها من وصف الطبيعة .. وهو في الحقيقة وصف لحديقة الاورمان ، المحيطة بمباني الجامعة .. التي ضمت معاهد الحب والجمال ، وغيرتها يد الايام .. وهذه هي الابيات في مطلعها :

لا الزهر زهر ولا الحديقة   الا باحلامك الرشيقه
يا بهجة العمر والاماني   وآية بالعلى خليقه
ملأت جو الآمال عطرا   بوردة منك او شقيقه
كان روض الاورمان دنيا   للخلد ، احلامها نسيقه
سحر من السحر عبقري   تميس اغصانه الوريقه
كأن زهر البشنين فيه   عرائس في الشتا غريقه
كأن شدو الطيور لحن   يأتي من الجنة السحيقه
وانت روح الشباب .. تسري   في الجيل .. حساسة عميقه

اما القصيدة الاولى في باب الطبيعة نفسه .. فهي قصيدة هامة من حيث موضوعها ، وشكلها ومحتواها جميعا .. وهي احد المعالم البارزة في محاولة التجديد ، التي مارستها حينئذ .. الا وهي قصيدة « الفيضان » .. وقد كان من المهم ان اتحدث عن « النيل » في الشعر، وان كان حديثي قد اختلف عن حديث شوقي عنه .. لقد كان شوقي يحيي استاذه مرجليوث ، وهو استاذ التاريخ في جامعة كمبردج ، فجمع مادة قصيدته عن النيل كلها من كتب التاريخ .. اما قصيدة الفيضان ، فكانت من وحي النيل نفسه ، وفي ساعة معينة من ساعات امتلائه ، وهو يغمر الشطآن ، ويجري ليغمر ارض الريف ، العطشى المتطلعة اليه .. وكان يصحب هذا الاخذ المباشر من النيل ، ذلك الخيال المجنح ، او المهوم ، او الحالم كما كان يحلو للشعراء في ذلك الوقت ان يعبروا عن شطحاتهم .. اما فيما يتصل بالاسلوب ، فقد كانت القصيدة جديدة حقا ، وان كانت الاصماد التي اجريتها عليها ليست اختراعا خالصا لي ، ولكنها متابعة للشاعر ادموند سبنسر ، الذي اشرت اليه منذ قليل ، في قصائده المتصلة بالطبيعة .. وكان له صمد ، او دور شعري ، عرف باسمه ، من الايامبك ، تجري فيه التفعيلات ، على تسعة اشطر ، او اسطر ، كما سبق ان ذكرت .. على الترتيب التالي :

١ ـ ٢ ـ ١ ـ ٢ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٣ ـ .. كما كان له صمد آخر مضاعف يحتوي على ثمانية عشر شطرا ، هو ما ذكرته في الحديث عن قصيدة « يروتالاميون » ومعناها « الاغنية التي تقال في الاعراس » .. وهذا الصمد المتضاعف تجري تفعيلاته على الترتيب التالي ، وهو : ١ ـ ٢ ـ ٢ ـ ١ ـ ١ (مجزوء) ـ ٢ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٣ (مجزوء) ـ ٤ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٤ ـ ٥ (مجزوء) ـ ٥ (مجزوء) ـ ٦ ـ ٦ .. وقد جربت هذين الصمدين في تلك المحاولات الكثيرة البادئة ، واحسست انهما يعطيان جمالا طبيعيا ، وموسيقيا بغير حدود . ولذلك كنت اود ان ارسم من هذه الاصماد الغربية ، ومن مثيلاتها .. ما يمكن ان نتخذه ضوابط لشعرنا العربي .. مراعين طبيعته ، ونسقه ، واغراضه .. متحاشين بهذه الضوابط ان يندفع بنا الى ما اندفع اليه الشعر الجديد المعاصر ، من فوضى لا حد لها، ضيعت ما يحتوي عليه من جمال فعلي ، عند احسن شعرائه ، وقربته فعلا الى النثر ، كما قال العقاد في معارضته المعروفة لهذا الشعر .. وكما نقول نحن ، مصححين قول العقاد ، او موضحين له في الحقيقة ، بانه اصبح قريبا الى النثر الفني ، الذي هو في مختلف عصور الشعر العربي نوعا من الشعر المنثور ، لم يدع اصحابه ابدا انه شعر ، لبعد ما بينه وبين الشعر !

وقصيدة « الفيضان » منظومة على الطريقة الاولى من اصماد سبنسر ، وهي التساعية .. وهذا هو الصمد الاول منها .. كمثل عليها :

يا زاخر النيل ، جلابا من الازل   مجدد الفيض ، ما دار الجديدان
وساقي الغابذي الاعشابوالدغل   تكسوه بردى اوراق ، وعيدان
والسيسبان.. باعلىالشطكالجان   والنخل ماردة .. حلت ضفائرها
هي الطبيعة اضفت ثوب الوان   عليك، ام انت قد زخرفتسائرها
بمائك العذب اذ تسقى مخاضرها ؟

والسيسبان ، شجر لا اذكره اعتباطا ، فيضحك او يسخر من كان مولعا بتتبع بعض الالفاظ في الشعر الجديد يومئذ .. وانما اذكره لذكرى عزيزة كانت ترتبط بطفولتي الاولى ، ارتباطا وثيقا ، هذه الطفولة ، التي ظللت استمد منها ، مصادر الهام لا حد لها ، وارجو ان يأتي الحديث عنها في هذا الحصاد ، في دوره ، ان شاء الله ..

اما تشبيه النخل بالماردة التي حلت ضفائرها .. فلم يكن مأخوذا الا من مصدره ، وهو الطبيعة ذاتها .. وكان من المعجبين به يومئذ ، الصديق الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل .. ولعله لا زال محتفظا بذلك الاعجاب حتى اليوم !

وهناك قصيدة اخرى في هذا الباب بعنوان « الحقل الابدي » .. جرى نظمها على ذلك الاصماد .. وهي صيحة من صيحات الامل ، ودعوة الى الالتفات نحو الريف واهله ، ولمحة من لمحات الفكر .. منها هذا الصمد :

يا حقل ، انت لمثلي فرحة الابد   والشمس في مطلع الاشراق آمالى
كم انشدتني السواقي فيك عنبعد   لحن الهناء، فأحييت كاسف البال
وشاق عيني خيال الصبوة الخالي   ورددت عذبات الدوح تهماسى
ومشط النخل شعرا فرعه عال   وشق جدوله الفلاح بالفاس
مغنيا .. لا يبالي الدهر بالناس !

هل رأيت النخل يمشط شعره في هذه المرة .. بعد ان كان محلول الضفائر من قبل ؟! هناك كانت الروعة والتهويل والبحث عن المجهول.. وهنا جاءت النظرة الهادئة للامل والعمل ، والركون الى فرحة الابد.. ثم يلي هذا الصمد :

نظرت راد الضحىمن رحبنافذتي   اليك يا حقل.. والاحزانتفعمنى
الى مرب عظيم من اساتذتي   بمحكم الشعر والتنزيل يلهمنى
ابكي علىالنفس والاخوان والوطن   موزع الفكر بالاكوان مشغولا
وصاحب الشعر لا ينفك في حزن   يظنه عن هموم البعث مسؤولا
وكان يكفيه هم النشأة الاولى !

ونحن ندع موجة الحزن الطاغية ، التي كانت تلف هذا الشاب ، اول نشأته ، منبعثة مما كان يكتنف حياته من غموض وابهام .. لكي نتساءل حقا ، ما هو الفرق بين نظم القصيدة على هذه الاصماد ، وبين اطلاقها في بحر البسيط ، على طريقة السابقين من شعراء العربية .. في مثل قصيدة « الروض الناعس في الظهيرة » .. التي تليها في الديوان ؟ فقد نزلت صباح يوم الى حديقة النزهة بالجزيرة ، ومعي كتب للمذاكرة .. وكان الجو بين الربيع والصيف ، والبنفسج يملأ الروضة ، ولكن الجو المائل للحرارة كان يدعو للنوم : فنام الجالسون على المقاعد ، وفوق الحشائش ، كما نامت غادة حسناء بعض الوقت.. ثم نهض الجميع من نومهم ، وذهبت الحسناء الى نافورة الماء ، فنضحت وجهها وشعرها .. وهكذا دبت الحياة من جديد ..

يا دمية فوق خد الورد ناعسة   وفي الظهيرة احلام الازاهير
وللصبا بحفافي ثوبها عبث   تداعب الخز من ابريسم الحور

من الجبل

★

أحبها حين يحمي وجهها الغضب   وناظراها ظبى تسبي وتستلب

وقد تلظى فم واستبسلت شفة   تكاد لولا الثنايا الغر تختضب

كأنما أمسكتها عن مهاترة   رخيصة ولديها المقول الذرب

عضت لماها على كره محاذرة   من أن يكون له من نطقها سبب

فلا الحضارة تغريها « بهارجها »   ولا لآلىء دنياها ولا الذهب

بريئة تتأبى ان يظن بها   وقد نماها الى شم الذرى نسب

وديع ديب

كأنه ونقوش فوقه .. ورق   قد ثقبته مناقير العصافير

قد طال نومك، فضحى تبعثي املي   كالشمس تبعث للشباك بالنور

ومنها :

هي الظهيرة تفشي الروض لجها   وهاجة بحرور الضوء مفمور

والنائمون كموتى الحرب.. منظرهم   تراهم بين مطوي ومنشور

في ظل وارفة ، تهتز ناعسة   كمارد من بني الشيطان مخمور

لما رأيتهم فوق الربى قطعا   ظللت ارقب فيهم نفخة الصور

ومنها اخيرا :

وغادة وثبت جذلانة ، فرنت   الي عن حور في العين مسحور

بالماء بلت لتسبيني غدائرها   وارسلتها كمسك فوق كافور

فراشة جن منها اللهو ، فانطلقت   على الحشائش، في خدع وتغرير

وتنتهي القصيدة بالاعتذار عن هذا النوم والكسل ومتابعة الحسان في الحدائق العامة .. في هذين البيتين :

جلست ثم للهو ، استعين به   على جهاد لكسب العيش مقدور

لما رأيت خشوعا في الطبيعة لم   أبخل عليها بانشاد المزامير

ومرت الايام .. ثم اعقبتها السنوات الطوال ..

وفي الرابع والعشرين من يناير عام ١٩٦٨ .. وكان الشاب قد اصبح كهلا ، حطمته الاحداث التي دار بها الجديدان فعلا .. كما حطمته احداث حزيران المؤلمة حقا .. جلس هذا الكهل ، او الشيخ ، يشكو الزمان ، ويعاود القول في شعر الطبيعة .. فاذا بهذا الشعر المنطلق البسيط المليء بالآمال والوعود .. يتحول الى شعر فلسفي ، ينظر ، ويتعمق ، ويحلل ، ويستنتج .. لقد كان الالهام هذه المرة ، متخذا بعض الصور التي يراها الذين تصفو نفوسهم ، وتتضح الرؤية امام بصائرهم وابصارهم .. لقد رأى الناس في هذه الحياة المزدحمة ، يشبهون تماما هذا النبات الاخضر ، المنتشر على سطح الارض ، فهو يولد وينمو ويعيش ويموت .. وكذلك الانسان .. وهكذا كانت القصيدة الجديدة الاخيرة في شعر الطبيعة .. بعنوان : « نحن كالنبات » .. فلنستمع الى الشيخ .. وهو يتحدث :

انا كالنبات .. نزرع في الار   ض ، ونسقي ماء الحياة فننمو

اترى حين يحرث الارض فلا   ح .. له من فلاحة الارض علم

ثم يلقي البذور فيها .. ويمضي   وعلى ثغره رضاء ، وبسم

وتجيء المياه ، تمخر في الطين .. بطونا ، ظلامها مدلهم

غير ان الشقوق تبتلع الما   ء .. وتحفو على الجنى.. وتضم

ثم يبدو النبات اخضر .. يشتق طريقا الى الهواء .. فيسمو

كل صبح له الطبيعة .. فرشا   ة .. زهاها في لوحة الكون رسم

هذه قصة الميلاد .. فماذا عن قصة النشأة والحياة ، وما فيها من نعيم وعذاب ، ومن تطاحن كبار وصغار ، ومن تتابع بقاء وفناء ..؟

اشرقت نضرة النبات على الار   ض .. لها بهجة ، ولون ، وطعم

فرقتها الحقول من كل نوع   ضمه من جوانب الارض قسم

من بقول صغيرة .. تملأ الار   ض ، كما يملأ السموات .. نجم

وشماريخ باسقات .. تخفي   في ذراها .. بدر السماء الاتم

رب خضراء من سنابل قمح   ما حكاها في الافق الا الخضم

فاجأتها عواصف الريح تذرو   فانثنت في مياهها تستحم

وعجوز من شاهق السرو .. لا يحكيه الا عالي الجبال اشم

مذهل في صموده .. غير ان الر   يح تشتد .. والعواء يصم

كل يوم تنمو البقول .. وتمضي   وتفيض الزهور ... ثم تلم

بينما الغاب من قرون طوال   قائم ، فارع البطولة ، شهم

ولا بد من عظة وعبرة ، في مثل عابر .. فليكن هذا المثل :

مر يوما .. على مسنة دوح   عامل في نشاطه مستجم

ولديه المنشار .. في صفحتيه   جاءها الموت ، والقضاء الملم

قلت لما ترنحت من أعاليها .. فاهوت ! للدهر نفذ حكم

ثم تأتي الخلاصة :

انما يولد النبات .. كما نو   لد.. طفلا ، له من الارض.. أم

ثم يمضي مع النماء حثيثا   ثم يشتد منه دوح ، وجسم

ثم يبدو في آخر العمر شيخا   اثر الشيب في النضارة وسم

ثم يلقى الى الثرى.. فاقد الرو   ح .. فاشلاؤه على الارض..فحم

ثم تجيء النهاية .. ونصل الى المقصود من هذه الحكاية :

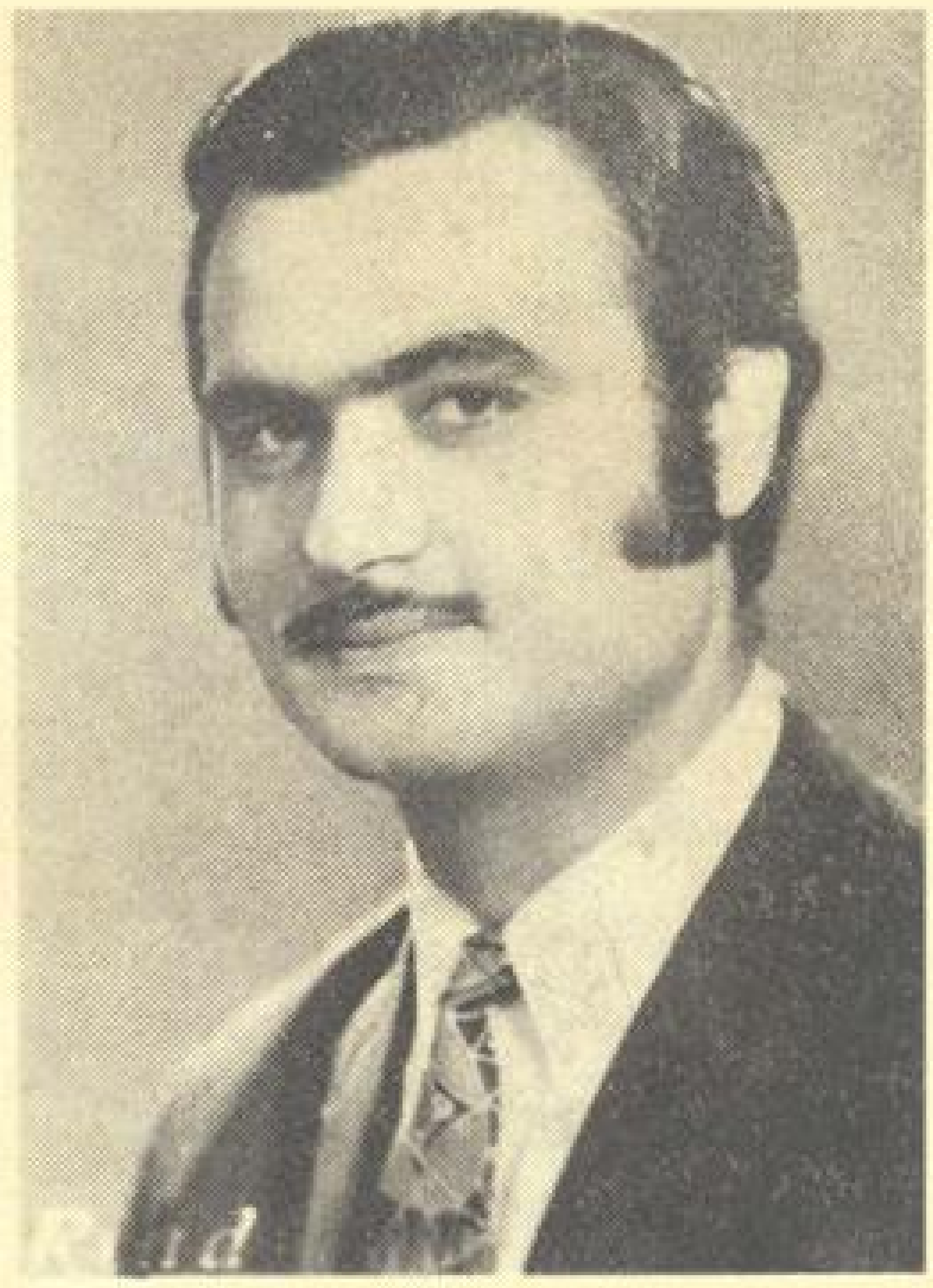
هكذا نحن كالنبات قديما   حظنا ان نعيش .. والعمر يوم

مولد ، ثم نشأة ، ثم موت   ان نعش او نمت .. فماذا يهم

فاغنم الصفو من حياتك والحب .. فصفو الحياة ، والحب .. غنم

وهكذا استمعنا الى الشاعر ، شابا وشيخا .. في حديثه عن « الطبيعة » .. فلنستمع اليه ، شابا وشيخا ايضا .. في حديثه عن .. « الحب » !

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري



شباب الارز

القيت في المهرجان الخطابي الذي اقامته المدرسة الحديثة في سد البوشرية ـ لبنان

فوزي عطوي

* * *

تواثبتم الـى الدنيا شبابا ... ترون المجد أمرا مستجابا

علـى اهدابكم يختال ومض ... أبي اللمح ، يجتاح الضبابا

وهذا [illegible]حكم ، ان قيل [illegible]رح ... بنـى خلقا ، واعلاه قبابا

عـن العرفان مزقتم حجابا ، ... وفوق الجهل أسدلتم حجابا

نهلتم من معين الفكر فكرا ، ... وزدتم فوق باب العلم بابا

سئلت الشعر فيكم ، غير اني ... شجاني ان يقال : شدا فخابا

فعذرا ان اتيت ، وفوق ثغري ... أطل الحرف يضطرب اضطرابا

وحسبي ان اعيبت قافياتي ... بأني ، في المحبة ، لن أعابا

لقد امعنت عن شعري اغترابا ، ... ومـا عودت شعري الاغترابا

وليس يضير ألحاني احتجاب ... فان الشمس تعرف الاحتجابا

شباب الارز ، ارفض ان تحابي ... على حق ، وارفض ان تحابى

وبي ثقة ، اذا ريعت بلاد ... بأنك لن تراع ولن تهابا

فلا تعجب اذا ما هز شوقي ... الى شعري ، نداؤك فاستجابا

لعينيك الاغاريد النشاوى ، ... ابث بها هواك المستطابا

أجلك ان تهون وفيك عرق ... ندي الجود ، ينسكب انسكابا

أجلك ان تخنث من رفاه ، ... وان تأسى اذا ما الريب رابا

لمثلك انت وطئت الليالي ، ... فلا تسفح على قدم شرابا

شباب الارز ، ما كرمت بلاد ... اذا جفت البراعة والكتابا

ولا رانت على الوطن الدياجي ... اذا ما حث للعلم الركابا

ومن عبث التمدن ان نجاري ... على عنت ، قشورا لا لبابا

ومن عبث التفرنج ان نداري ... لدى الغرباء ، احلاما كذابا

ومن عبث المصالح ان نماري ... بلا وعي ، ضلالا لا صوابا

ومن عبث التعصب ان نداجي ... لصوص الطائفية ، والذئابا

يراد بنا انقسام واحتراب ، ونرفض الانقسام والاحترابا
فلا اضحت اهلتنا سيوفا ، ولا صلباننا امست حرابا

شباب الارز هل اشجاك شعب اذاب من الحشاشة ما اذابا
يضلله الابالسة احتيالا ، ويوسعه السماسرة احتزابا
أرادوه اغترارا وارتيابا ، ونجحده اغترارا وارتيابا
وشاؤوه ابتذالا وارتكابا ونمقته ابتذالا وارتكابا
تعصبه لسادته اراني ، وقد جربته ، العجب العجابا
أطاع جهالة نكرا ، فباع المنازل والمآكل والشرابا
ولولا العار لم يربأ بعرض ، ولولا العيب ما صان الثيابا
عدوت الى السياسة مستطارا ، فلم احسن سؤالا او جوابا
وكنت أضل ضليل لاني حسبت الشعب ينتخب انتخابا
بذرت مروءة ، وبذلت حبا ، فلملمت الشتيمة والسبابا
ومن عجب الشعوب ، تعق نسرا! وتجحده ، وتأتم الغرابا

ويا امل البلاد ، اذا كفيتم من الغنم «السلامة والايابا»
فما استقلالكم الا خداعا ، وما امجادكم الا سرابا
عدوكم نضا ظفرا ونابا ، فلا تستمرئوا ظفرا ونابا
حذار حذار ان نمنى بخطب ، وان نرث المهانة والخرابا
اللفانتوم هيأنا مقالا ، وللنابالم اعددنا خطابا
وهل نحمي بعاطفة حدودا ، ونحرسها بكاء وانتحابا
وهل نحيي بتعويض شهيدا ، وهل بالحكي ندفع الاغتصابا
كفانا ذلة انا قتلنا ، وشردنا ، واشبعنا عذابا
فلما ثار ثائرنا ، سعينا نرجي «مجلس الامن» العقابا
ففاز العدل في الدنيا وفزنا واوسعنا عدوتنا عتابا
وان شئنا غدا محو احتلال سنسأل «مجلس الامن» انسحابا

شباب الارز ، نهواكم أباة ، وننشدكم ، على الجلى ، صلابا
بلونا قبلكم عمرا شجيا ، وقاسيناه صابا او رضابا
ولكنا صدقنا الناس ودا ، واصفيناهم الخلق المذابا
سلوا التاريخ ، هل عزت دمانا فاظمأت الروابي والشعابا
بنى اسلافنا لبنان حرا ، فمج الاحتلال والانتدابا
وما ألهته اسماء كذاب تبدل كلما شاءت اهابا
فباهوا مثلما كنا نباهي ، متى نسأل فخارا وانتسابا
لنا وطن اردناه منيعا ، نحاذر ان ندمره شبابا
ونكره ان نبدده تراثا ، ونأبى ان ندنسه ترابا
اذا ما ذرة بثراه مست ابحناه النواصي والرقابا

فوزي عطوي

قصة

الفراغ

بقلم ابراهيم المصري

نشأ « مصطفى » بعد وفاة امه ، في كنف امراة ابيه « علية هانم » التي لم تعقب خلفا ، والتي كانت تحقد عليه وتستبد به ، وترى في محض وجوده حيا امامها ، تعبيرا لها ، وانتقاصا من قدرها ، وشماتة صارخة في انوثتها العقيمة الباطلة .

وكان ابوه الذي جاوز الخمسين ، يعشق امراته الصبية ، ويأتمر بأمرها ، ويغض عن استبدادها بولده ، ويعتقد من فرط عشقه لها انها لا تأخذ مصطفى بالشدة الا لتدلل على انها قد حلت محل امه ، وان من واجبها ان تخلص في الاهتمام به ، وان تقوم اعوجاجه وتحسن تربيته .

وهكذا عاش مصطفى ناقما على حظه ، كاتما همه ، مبغضا زوجة ابيه ، يمشي في البيت مخافتا خطاه ، ثم ينطوي في عزلة موحشة ، ويسبح في فراغ خانق ، يحاول جهده التخلص منه في صحبة رفاقه ، فيعجز . فيرتد مكرها الى عزلته ، ويظل متقلبا في فراغه ، ينهبه الصمت والحلم ، وتنهشه عوامل الكآبة والاسى .

ولبث طوال ايام حداثته فريسة هذا الفراغ . فاستدق احساسه ، ورقت مشاعره ، واغرق في الكآبة والتحسر . فبات ظمآن الى العطف ، تواقا الى المحبة ، نزاعا الى مطالعة القصص ، متلهفا على الخيال والشعر وشتى العواطف التي حرم منها ، حتى بلغ طور الشباب واتم تعليمه واشتغل مدرسا .

وفجأة توفي والده ، وخلف له ثلاثين فدانا من اجود اطيان الفيوم . وتزوجت امراة ابيه . فناءت عليه وطأة العزلة ، وضاق ذرعا بالفراغ الجاثم على صدره . فما ان تعرف اتفاقا في بيت صديق له الى فتاة تدعى « اعتماد » ، حتى التهب تصوره الشعري ، وخيل اليه ان اعتماد فتاة دمثة رقيقة وديعة ، فيها الاستجابة الروحية التي ينشدها . فلاذ بها واراد ان يحبها ، واسرع وتزوجها فرارا من عزلته ، وتخلصا من فراغه ، وتوكيدا لاستقلاله وحريته ، وثأرا لكرامته من ذكرى العذاب المهين الذي كانت تسومه اياه امراة ابيه .. بيد انه لم يكد يقترن باعتماد حتى صحا .. ادرك على الفور انه لم يحبها ، وانه قد خدع فيها ، وان فراغ قلبه هو الذي دفعه اليها ، وانها عكس ما كان قد تصوره تماما . فهجس في روعه ان يطلقها . ولكنه استهول الطلاق ولما يمض على زواجه اكثر من شهر واحد ، واستهول الغدر بالفتاة البريئة التي اطمأنت اليه ووثقت فيه . فحنى رأسه صاغرا وامتثل ..

آثر ان يصبر ، ان يجرب ، ان يحتمل . ثم جرفه الصبر ، وطوعه الاحتمال ، وغلبته العادة فعاش ..

عاش وحيدا كأنه لم يخرج من طور حداثته . عاش في فراغه المكفهر الملبد الكثيف وفي نيته مع ذلك ان يحرص على راحته ويسعد ... اجل . كان في نيته ان يسعد كما كان في نيته من قبل ان يحب . فراض نفسه على القناعة ، وراض عواطفه على الكبت ، وابى الا ان يتمثل قلبه اشبه بالطائر الاليف يحب قضبان سجنه ، ويأنس الى يد صاحبه ، ويلتقط منها في استسلام قوت يومه ، ويتخبط في القفص كما لو كان يحلق في فسحة سماء ...

واعقب من امراته ولدين وبنتا . فكبلته الابوة . فلم يزدد فقط تواكلا وامتثالا ، بل حاول اقناع نفسه ان ركود حياته الزوجية متعة ، وسكونها الحالم فتنة ، وبلادتها المستعصية نعمة ، وتشابه ايامها ولياليها سعادة فاترة قريرة ، من الخير له ان يذعن لها ويقبل بها وان كانت لا تملأ فراغ قلبه التائه العليل ..

والحق ان زوجته اعتماد كانت شابة وجميلة ، مخلصة ووفية . ولكنها بالطبع والخلق كانت قاسية ، بل كانت كهلة تكبر مصطفى بسنين .

كانت اعتماد شديدة الانطواء على نفسها وعلى بيتها واولادها ، تكره العواطف والخيال ، وتكره المرح والشباب والحياة .

كانت متكبرة الى حد التسلط ، صارمة الى حد التزمت ، جادة الى حد الجهامة والعبوس . كانت ارادتها اقوى من اهوائها ، وحب التسلط اقوى منها من انوثتها . فأمضى مصطفى في صحبتها اكثر من عشر سنوات ، محكوما بها ، خاضعا لها ، لا يتبرم بشيء او ينقم على شيء او يشعر انه راغب في شيء .

كان النظام البارد الدقيق المهيب شائعا في بيته ، والهدوء المظلم الاصم مسيطرا حتى على اولاده ... حتى الاولاد علمتهم اعتماد كيف يصمتون ، وكيف يرتجفون ، وكيف يطيعون ويفكرون ، واستلت من نفوسهم روح المرح ، واخمدت فيهم جذوة الحياة .

ومع ذلك فالاولاد كانوا يحبون اعتماد ... كانوا يحبونها ويعجبون بها كما يحب التلاميذ معلمهم القاسي

ويعجبون به . ولكنهم كانوا ايضا يخافونها . وكان خوفهم منها يدفعهم الى الكذب عليها والتغرير بها والافلات من رقابتها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

فالابن الاكبر كان يحتال عليها في خبث ويبتز منها القروش ، ويعصي امرها ويذهب خفية الى السينما . والابن الثاني كان يؤكد لها انه في طريقه الى المدرسة ثم يهرب ليلعب الكرة مع اولاد الشوارع . والبنت كانت تخدعها وتنسل الى النملية او البوفيه وتسرق الحلوى كلما سنحت لها الفرص .. وهو ... هو نفسه مصطفى ... كان رغم نزوعه الى الراحة وميله الى القناعة واستسلامه لحكم الاقدار ، قد بدأ هو الاخر يكذب عليها ، ويخدعها كما يخدعها اولادها ، ويروغ منها ، ويضللها ، ويتطلع خلسة وعلى دهش منه الى جارة جديدة ، هبطت فجأة حيهم ، واتخذت لها منزلا في العمارة الملاصقة لبيتهم ، وتعرفت الى اعتماد ، وشرعت تزورها ...

وكانت الجارة الجديدة ارملة حسناء تدعى « فوزية » ، تعيش في كنف شقيق لها ، يشتغل بتجارة الاخشاب ويتنقل بين القاهرة والاسكندرية ، ويعطف على شقيقته ويخلص لها ، ويأبى ان يتزوج حتى يزوجها مرة ثانية ويطمئن على مستقبلها .

هذه الارملة الفاتنة اقتحمت حياة مصطفى دون ان يشعر ..

تسللت الى فكره . تغلغلت في خياله . خالست آماله واحلامه . تجاوبت اصداء سحرها في فراغ قلبه . فمضى ينظر اليها نظرة ملؤها اللهفة والقلق والاضطراب ، مستعذبا هذه اللهفة الغريبة عنه ، وهذا القلق الدخيل عليه ، وهذا الاضطراب الغامض المبهم الطارىء الذي لا عهد له به .

وفي غفلة عنه ، تجمعت عواطفه المكبوتة وطاردته ، ثم حاصرته وارهقته ، ثم دفعت به دفعا الى التماس شيء من الرقة والوداعة والعطف بجوار فوزية .

وهكذا اهتم بها ... وكما لاذ باعتماد فرارا من فراغه وثأرا لنفسه من ذكرى امراة ابيه ، كذلك لاذ بفوزية فرارا من جمود امراته ، واكفهرار جو بيته ، وتشابه حياته المحنق المثير .

مال الى فوزية في لحظة من تلك اللحظات الخاطفة التي يشعر فيها الانسان ان فراغ قلبه قد اتسع ، وان عليه ان يملأه بأي شيء والا



ابراهيم المصري

●

ملأته الحسرة بالموت والعدم .

وبدأ يتقرب الى جارته الجديدة ... بدأ يجملها بعقله ، ويزينها بتصوره ، ويخلع على شخصها نفس الحلل التي كان قد خلعها بالامس على امرأته .

لم تجده التجربة نفعا . لم يفكر . لم يتأمل . لم يدرك انه قد تقنع بوهمه ، وان فوزية هي الاخرى قد تكون متقنعة مثله ..

كان يكره الحقيقة ، ويجزع من الصدق . ويود ان يرى ما يحب ان يكون لا ما هو بالفعل كائن . فلم يستطع في مبدأ الامر ان يرى وجه فوزية الصحيح ، فاعتقد انها المرأة المنشودة ، وانها عاطفية وحساسة ورقيقة ، قد اجتمع فيها والتقى عندها كل ما كان ينقصه وينقص زوجته اعتماد ..

وكانت فوزية امراة في نحو الثلاثين ، مديدة القامة ، ناهدة الصدر ، وطيدة البدن ، ذات شعر مجعد أثيث ، وعينين سوداوين قاتمتين ، وخدين مكتنزين موردين ، وشفتين نائتين حمراوين ، تلتمعان كلما ابتسمت او ضحكت ، وتلقيان على بشرة وجهها القمحية الصقيلة بل على بدنها المربرب كله ضوءا صارخا ، يثير كوامن الفطرة ويلهب رغبات الحواس . كانت ممتلئة صحة ونشاطا وقوة . كانت تعرف ان جمالها الحسي الصارخ يخيف منها طلاب الزواج ولا يحرك في نفوسهم غير بواعث الشهوة . فكانت تلطفه جهدها بالنظرة الناعسة ، والرنوة الفاترة ، والبسمة الحالمة ، والكلمة اللينة ، والخفر والقلق المنكسر الخجول المشبع بظل العاطفة ، والشبيه في مظهره الساذج الغرير بخفر العذارى .

كانت فوزية تصطنع هذا الخفر لتبعث الثقة في قلوب الرجال ، وتظفر آخر الامر بزوج ساذج وميسور . فأخذ مصطفى بمظهرها ، وراعه منها اقتران القوة بالضعف ، والحيوية بالبراءة ، والصحة بالرقة والدماثة والدلال . فانساق اليها وبدأ يحبها ...

ولم يكد يحبها حتى خرج من واقعه ، واطلق العنان لمولدات خياله ، واندفع يبالغ في التصور والخيال مبالغة اسكرته .

تصور انه التقى بفوزية منذ سنين ، بل تصور انه عرفها قبل

مولدها ، وانه اتصل بروحها في دنيا غير هذه الدنيا ..

تصورها امرأة مثالية نادرة ، لا كبرياء في نفسها ، ولا دهاء في طبعها ، ولا خلاعة في اخلاقها ، بل رقة كرقة الورد ، ودماثة كدماثة الماء ، وعذوبة كعذوبة اروع الشعر .

ولكن العجيب في مصطفى انه كان يتصور الجمال ويبدعه ، ولا يستطيع في الوقت نفسه الا ان يتأمله ويتفرس فيه ...

كان يعيش من وجود فوزية ، فكان مضطرا الى النظر اليها ، والتأمل فيها ، وانعام النظر في كل حركة او اشارة تصدر عنها ..

وشيئا فشيئا ، وعلى مر الايام ، سقطت الغشاوة عن عينيه وبدأ يتنبه ويستكشف ويرى ..

وكانت المرأة وقد استشعرت حبه لها وسلطانها الخفي عليه ، لم تعد تحفل بالقناع الذي اسدلته على وجهها . فتطلع اليها الشاب مذهولا وابصرها .

ادرك وهو محير ومخبل وتائه ، ان فوزية الساحرة ، فوزية الرقيقة فوزية المثالية النادرة ، ما هي في الواقع الا مخلوق اناني حسي رخيص تتمثل فيه الغرائز البشرية البدائية اتم واكمل تمثيل .

ادرك انها مخلوق نصفه ضحك ونصفه شره ! ..

والحق ان فوزية كانت تحب ان تضحك بقدر ما تحب ان تأكل .

كانت شبه حيوان مرح فتي ، حاد الاسنان ، قوي المعدة ، مفتول العضل . وكانت حياتها موزعة بين الضحك والشراهة ، تبدع النكتة الطريفة كما تبدع لونا فاخرا من الوان الطعام ، وتستمرىء النادرة المستملحة كما تستمريء طبقا شهيا من « الضولمة » او « الطورلي » او مزيج الفاكهة المثلجة ..

وارتاع مصطفى ولم يصدق .. لم يستطع ان يتصور كيف ان هذه المخلوقة العابثة الماجنة الحسية المنهومة ، امكنها ان تؤدي بمثل تلك المهارة دور العذراء الخفرة ، وتؤثر فيه وتجذبه ... ومع ذلك فقد كان يحبها . كان يحبها وهو يستنكر . كان يحبها وهو يسخط . فحاول ان يبتعد . حاول ان يفر . ولكنه اشفق على نفسه من فراغه ، واشفق على نفسه من عزلته ، واشفق على نفسه من فقد حافز حي ، يجمل حياته ، ويلهب خياله ، ويبعث فيه نبض العاطفة واتقاد الشعر . فاستمسك بفوزية ، وتهافت عليها ، وتعلق بها. رأى في اشراق ضحكتها حدثا في حياته ، وفي نشاط حركاتها وصخب حديثها وشره نفسها ، مرح الحياة الذي حرم منه في بيته كما حرم منه اولاده ..

بيد ان هذا المرح الاناني الوحشي الغليظ ، كان يروقه من المرأة وهو يكربه . فهاله ان يظل المرح جفافا ، والضحك استهتارا ، والشره انانية وحشية منكرة . فعصفت به وثبات خياله ، وملكت عليه فكره وتطلعاته ، فآلى على نفسه ان يهذب المرأة .. ان يلطف من فلظة مشاعرها ، ان يوقظ الهامد من وجدانها ، ان يضرم فيها شعلة العاطفة المجتاحة التي كان يحترق هو بها ..

اراد ان يبدل شخصية فوزية ، ان يحبها كما يشتهي ، ان يرتفع بها الى مستوى خياله ، ان يبدع منها صورة الحبيبة الكاملة التي ينشدها !

وراح يمعن في التودد اليها ، ويتقرب جاهدا الى شقيقها ، ويحث امرأته على الاكثار من زيارتها . وكل ذلك في تيقظ وتنبه وتحفظ وقدرة خارقة على التمويه ، ضلل بها زوجته التي كانت لفرط استقامتها واخلاصها تعتقد اعتقادا راسخا ان زوجها لا يمكن الا ان يكون مخلصا ووفيا وشبيها بها .

وتوثقت الصلات بين مصطفى وشقيق فوزية . فكان يرى المرأة في معظم الاوقات ، ويتصل بها في غيبة شقيقها ، فتبدو له زهرة غضة يانعة نبتت فجأة في حقل حياته المجدب الكئيب .

وشرع يجاهد ليحرك قلبها ... غازلها في كياسة وادب ثم استمالها في رفق ولين ثم اندفع وحادثها في معنى الحب ، وقيمة العواطف ، وروعة الفضائل ، وسحر الاخلاق المهذبة الرقيقة ، المترفعة عن الدنايا ، المحلقة فوق المادة ، الذاهبة في النبل والتسامي الى حد الكمال النفسي الاصيل ... ولكن فوزية كانت تنظر اليه مستغربة ، ثم تستزيده مشجعة وصابرة ، ثم تفرح لسذاجته وتتخذ مظهر الجد والفهم . فيسترسل هو في حديثه العاطفي السامي ، فتنتشي هي خيلاء وزهوا ، وتزداد يقينا من عمق حبه لها . فتتبدل فجأة وتتحول ، وتطلق نفسها على سجيتها غير حافلة . وعندئذ كان مصطفى كلما اشار الى الحب والعواطف ابتسمت ، وكلما ذكر حرقة العاشق المحروم ضحكت ، وكلما تنهد وتأوه قهقهت ، وكلما كشف عن سره تجاهلت واعرضت ثم رشقته بنكتة لاذعة ثم راحت تضحك للنكتة وتضحك منه ، شاعرة بلذة عظيمة في اتخاذ حبه وألمه وفلسفته مادة للهذر والمجون .

وجاهد ايضا ليستدر عطفها ، وناضل ايضا ليوقظ رحمتها وحنانها ولكنه كان يكلمها وكانت تأكل ، وكان يتوسل اليها وكانت تقرقز اللب ، وتلتهم الفول السوداني ، وتنفخ في حبات الحمص ثم تعبث بواحدة منها ثم تلقى بها في الهواء وتتلقفها في فمها الشره المفتوح وتمضغ .

وضاق مصطفى ذرعا بدلالها البارد غير المكترث . فاضطرم حبه ونسي واجبه نحو امرأته واولاده ، واعتزم ان يظفر بهذه المرأة خليلة له ، على ان يواصل كفاحه لصقلها وتبديل اخلاقها ورفعها الى مستواه.

واحست هي منه تلهف العاشق

وتورط المحب المتخبط الحائر . فبدل ان تعطف عليه ، زادتها لهفته كبرا ، وزادها عشقه قسوة وشماتة ودلالا . فتأججت فيها غرائز المراة وشرعت تعذبه . شرعت تقربه تارة ثم تصده ، تقبل عليه تارة ثم تروغ منه ، تعلله بالامل ثم تنكمش وتصدف عنه . فحنق عليها ، وازداد تشبثا بها ، وارتمى في غمرة حبه وهو مخبول .

ولما ابصرته مسلوب الوعي ، مفقود اللب ، اشبه بالثمرة الناضجة على وشك السقوط ، اقبلت عليه فجأة ، واخذته في الفخ الذي نصبه لنفسه ، ولانت ورقت وعطفت ، وراحت تكاشفه بحبها ، وتبثه آلامها وآمالها ، وتمنيه ببعض اللذائذ والمتع ، وتشير من طرف خفي الى استعدادها للزواج به لو اشفق عليها بدوره ، واقدم في سبيلها على التحرر من قيده والتضحية بأولاده والطلاق من زوجته ...

وحملق فيها مصطفى وذهل .

هبط قلبه ، وانعقد لسانه ، وجعل يتأملها وهو مذعور .

فلكي تقهر ضعفه وتصرع تردده وتحل فيه محل عقله وارادته ، اعرضت عنه بضعة ايام ، ثم اقبلت بجمعها عليه . تظاهرت بأن قد فاض بها الحب والحرمان والشوق ، ثم انسابت اليه ، وانسكبت بغتة بين ذراعيه ، وجادت عليه ببعض القبل وهي تتملص منه . فاشتد ذعره ، واشتدت لهفته . ولكنها اقصته عنها ومنته بالمزيد لو تزوجها . ثم انتهزت فرصة تغيب شقيقها لعمل في الاسكندرية ودعت مصطفى لتناول طعام العشاء .

وتوزعت نفس الشاب بين الرغبة والخوف ، بين فتنة المغامرة وجسامة الخطر ، بين جاذبية اللذة وفداحة الثمن ، بين الحبيبة التي تريد ان تصبح زوجة ، وبين الزوجة المخلصة الوفية واولادها الابرياء المساكين .

ولبث النهار بطوله يتفرس في امرأته واولاده ويفكر .. يفكر فيهم وفي الموعد ايضا .. يفكر فيهم وفي المتعة ايضا .. يفكر فيهم ويتلهف ويتردد ، فتجذبه المتعة ، وتغريه بالتخلص من النار في النار .

وما ان دنا الموعد حتى اسرع الى فوزية .. بيد انه لم يكد يشرف على بيتها حتى عاوده التوجس والقلق . فدخل مرتبكا خائفا متحفظا . فرحبت المراة بمقدمه واستشعرت اضطرابه وتردده . ولكنها ابتسمت له .طوقته بذراعيها .منحته قبلة طويلة مشغوفة لم يألفها . ومضت تستفسره عن سبب همه ، ثم قادته الى حجرة صغيرة بعيدة ، واجلسته على مقعد مستطيل وثير ، تجاه مائدة كبيرة حفلت بكل ما لذ وطاب ..

ولكي تبدد هواجسه وتسري عنه ريثما تستطيع ان تتمكن منه ، انطلقت تضحك وتثرثر ، وتحدثه عن الجد والافلام والازياء وهي تمتنع عليه عامدة حتى يأكل ويكتظ ويتراخى . ولما احست انها قد استنفدت الحديث في التافه من الامور ، عادت فأقبلت على مصطفى . وقبل ان تتكلم في الحب والعواطف ، والآمال والاحلام ، والمستقبل والحياة ، انثنت من فورها الى الاشياء المحببة اليها ، ورمت المائدة بنظرة متلهفة ،وشرعت تومىء باصبعها الى مختلف الوانها ، وتبتسم لها ، وتغري مصطفى بها ، وتزين له في لذة ونهم مذاق شرائح اللحم النضاحة بالمرق ، وليونة الكفتة الزاخرة بالقدونس ، ودسامة الشوربة التي يكسوها دهن الدجاج، ورقة الباذنجان المحشي التائه في الدمعة والسابح في السمن البلدي .

وكان مصطفى يصغي اليها وهو يرتعش ..

كان لا ينظر الى المائدة بل يحدق في المراة .. فخيل اليها انه مفتون بها ، مأسور بفضلها ، مأخوذ بكل ما اعدته له . فسبقته لتشجعه . واسرعت وانكبت على المائدة بعينين لامعتين متقدتين ، وبدن متحرق متهافت ، وفم شره عريض . ثم شمرت عن ساعدها البض ، وشرعت تمزق بأسنانها شرائح اللحم ، وتغمس بأصابعها الخبز في الخضر والدمعة ، وتلتهم الطعام التهاما وهي تتلمظ وتئن وتضحك ..

وشاهد مصطفى انهيار حلمه واختلج . اختلج تحت هزة عنيفة من النفور . تقزز وتراجع . غام بصره . انقبض قلبه . اخذ الاشمئزاز بمخنقه . روعه هذا المخلوق الجميل العجيب الذي لا يمكن ان يتغير ، هذا المخلوق الجميل العجيب الذي تجمع كل شيء فيه واستقر في بطنه . فمال الى المائدة مكرها ، وجامل فوزية ما استطاع ، واكتفى بأن ازدرد بعض قطع من الكفتة وشيئا من الفاكهة ثم اعتذر بأنه مصدوع ونهض ... فاغتاظت المراة . عز عليها ان تكون قد تبرجت وتعبت وانفقت واعدت كل هذا الطعام على غير جدوى . فحاولت ان تستبقيه ، ان تجذبه بالدعابات والقبل . ولكنه صد عنها في رفق، وكرر اعتذاره . فعبست في وجهه . فازداد تأففا وتبرما . فلم تجد بدا من كبح غيظها خشية ان تغضبه وتفقده . فتملص منها وهو يترضاها ثم وعد ان يزورها مساء الغد ثم انحنى شاكرا وقبل يدها ، وانصرف وهي تشيعه بنظرة ملؤها الترفع والاحتقار والكمد .

وخرج مكروب النفس ، ضيق الصدر ، صريع الامل والخيال والعلم . واراد ان يفرج عن نفسه بالتجول في الشوارع فترة . ولكنه ابصر بيته على مسافة بضع خطوات منه ، يتطلع اليه وكأنه يناديه . فاتجه نحوه . صعد الدرج في بطء ، وفتح الباب بمفتاحه الخاص ودخل.

دخل البيت فألفاه ساكنا هامدا

كعهده به ، والاولاد نياما ، والهرة الصغيرة البيضاء التي التقطتها ابنته من الشارع منكمشة في احدى الزوايا ، والمصباح الخافت يريق على الفسحة الكبيرة ضوءه الكابي ويلف جوانبها البعيدة في شبه ظلمة نيرة كظلمة الكهوف . فازداد قلبه انقباضا ، وتحول ودخل مخدعه .

دخل المخدع على اطراف قدميه ، فأبصر امراته ممددة على فراشها ، مستغرقة في نومها ، مستقيمة الوضع ، جامدة الوجه ، قاسية التقاطيع ، تخفق انفاسها باترة كطبعها ، منتظمة كعقلها ، موقعةعلى غطيطها المتعاقب الاجش الرتيب . فحدق اليها لحظة وارتجف .

احس ان ليس في مقدوره ان يوقظها ، وليس في مقدوره انيخلع ملابسه ويرقد الليلة بجوارها . فتحول ايضا . تحول بالرغم منه . مشى الى الفسحة . ابى ان يلقي نظرة على حجرة الاولاد . اسرع الى الباب ففتحه في رفق وخرج .

وغافله الفراغ . استوى امامه . اناخ على فكره وقلبه وكيانه . فطفق يمشي في الشوارع هائما على وجهه حتى كلت قدماه . فكر راجعا ودخل بيته .

دخل البيت وظل واقفا وسط الفسحة الساكنة ، يجيل الطرف حوله في شرود ، ولا يدري ماذا يجب عليه ان يفعل .. لم يشعر بأية حاجة الى النوم . لم يشعر بأية حاجة الى الراحة .

كانت اعصابه متوترة . فانطلق الى حجرة مكتبه ، وتناول كتابا ، وارتمى على مقعد وهم بأن يقرأ . ولكنه انتفض فجأة . احس شيئا غريبا . شيئا لم يكن متوقعا . احس انه جائع . فنهض . نهض من فوره ... مشى في الدهليز الطويل . اتجه نحو المطبخ . اوقد النور . طاف بعينيه يبحث عن الحلة الكبيرة . رفع الغطاء عن الحلة ونظر في جوفها ، وابتسم ..

وكانت امرأته قد طهت في ذلك اليوم ملوخية وتركت له نصيبه منها للعشاء . فتأمل الملوخية مرة ثانية واومضت عيناه ... اومضت عيناه وسال لعابه . فأسرع وجاء بطبق مجوف كبير وضعه بجوارا الحلةعلى منضدة المطبخ ثم جلس تجاه المنضدة ثم صب في الطبق شيئا من الملوخية ثم وضع فوق الملوخية طبقة من الارز ، وفوق الارز طبقة من اللحم ، وفوق اللحم طبقة من الملوخية ، وفوق الملوخية طبقة من البصل ، ثم روى هذا كله بعصير الليمون ، ثم نظر الى الطبق الشامخ الوطيد وشرع يأكل ..

وعلى دهش منه احس انه يأكل بجمع بدنه وحواسه . احس انه يأكل في استمتاع عميق . احس انه يأكل في شراهة عجيبة ، في لذة لم يشعر بها قط . فمضى يلتهم الطعام التهاما ويتلمظ ويتمطق ، ويرمق نافذة المطبخ بعين زائغة ، ويبتسم .

وما ان اتى على الطبق حتى نهض ... نهض مدفوعا بقوة لا تقاوم . وفي حركة سريعة ، حركة آلية استغربها هو نفسه ، مد يده واطفأ النور ثم انصت لحظة واطمأن ثم اندفع الى النافذة ففتحها ، وحدق الى المنور الفاصل بين بيته وبيت فوزية ، ثم تلفت حوله وهو يقظ وشارد ، واختطف مكنسة المطبخ ، ومد من النافذة مقبضها الخشبي المستطيل . وطفق يضرب به احدى نوافذ بيت فوزية ضربا حذرا خفيفا متقطعا ..

وفجأة سطع النور . فتحت النافذة . اطلت المراة منها . فلم يمهلها الشاب وهمس :

ــ انا ... انا مصطفى ! ..

فأنطفأ النور ، وساد الصمت . ثم ندت عن فوزية ضحكة مخنوقة ، وهمست هي ايضا :

ــ تعال ...

ــ واوصدت النافذة . فأجفل مصطفى ، وظل واقفا . لم يتحرك . لم يدر من الذي ضرب النافذة ، وهل هو الذي ضربها ؟ .. ومعذلك فقد احس انه منجذب ، انه مأخوذ . فحنى راسه مستسلما ، واعتزم ان يذهب . فمشى ... مشى الى الباب وهو يتمثل فوزية بين ذراعيه ويلهث . ولكنه ما ان بلغ الفسحة ، ما ان دس يده في جيبه لينتزعمفتاح الباب ، حتى توقف بغتة ... تذكر انه لم يغلق نافذة المطبخ . لم يضع المكنسة حيث كانت . فخشي ان يفتضح . فكر راجعا . اوقد النور . هم بان يوصد النافذة . واذ ذاك ، اذ ذاك فقط لاح له الطبق .. الطبق الكبير .. الطبق المجوف .. طبق الملوخية . فشخص اليه فجأة وتصوره ... تصوره كما كان . تصوره كومة شاهقة من الغذاء اللزج سرعان ما اختفت . فاستبد به الدهش والذهول ، وجعل يسائل نفسه :كيف ؟ .. أهو الذي اكل كل هذا . أهو الذي ابتلع كل هذا . أهو الذي كان يكره الطعام كل ما هو دسم وغليظ ، امكنه ان يستوعب كل هذا ؟! .. من ، من الذي التهم كل ما كان في الطبق ؟ .. هو ام فوزية ؟ ... لا ... هو .. هو نفسه .. كان هو نفسه فوزية بذاتها ! .. كان يتهالك على الطعام مثلها . كان يلتهم ويمضغ مثلها . كان يطحن ويستمرىء مثلها . تجسدت المراة فيه . انسلت الى اعماقه . سرقته من ذاته . وبدل ان يرتفع هو بها ، تمكنت هي منه وهبطت به الى الحضيض . فعض على شفتيه المتقلصتين وحدق ... حدق ايضا الى الطبق الخاوي . فألفاه اشبه بهوة، هوة عميقةكريهة، تخلفت فيها خطوط بشمة خضراء ، وعلقت بها وتناثرت حولها حبات الارز ، وفتات الخبز ، وقشور البصل ، وقطرات الليمون ، ونقط السمن ... فظل يشخص الىالهوة الى الطبق الغادر ويرتجف ..

الى راحل

الى روح شقيقي منذر الذي لم يمهله المرض فقضى في ١٦ حزيران
ولم يتم ربيعه الثامن عشر

أخي صليت كي أنسى ... بأنا كلنا راحل
وأن العمر محدود ... فهما عاند السائل
سيستخذي . امام الدا ... ء ، أين الصامد الآمل

لئن ساءلته اصبر ... أخي بالصبر لن تقهر
وهل اسطيع غير الصب ... ر ، رغما انني مجبر
فان المرء أختاه ... برغم الانف قد يؤجر

أنا صليت كي أنسى ... فقد لا نلتقي بعد
وان الدرب في تشري ... ن عار كسبه فقد
شتاء بارد قاس ... على عمري اتى يعدو

وداعا يا أخي اني ... اذا صليت لن أنسى
بأن اليوم ان أضحى ... سواء كان او امسى
وأني قد قطعت الدر ... ب صيادا بلا مرسى

دمشق ... سلافة العامري

غشيته نفس الغاشية التي احسها الساعة قرب فوزية . ملكه نفس التعزز . اخذ بمخنقه وكاد ان يبتليه بالغثيان . فاقشعر بدنه ، وواجه بعينيه انحداره وسقوطه . فحول بصره عن الطبق الغادر وايقن ... ايقن يقينا قاطعا ان الموت ، الموت المعنوي المحتم ينتظره هناك ... موت واجبه وضميره ، موت قلبه وفكره ، موت احلامه وتطلعاته، موت كل ما كان يصبو اليه ويأمل ان يستعلى به من حب وشعر وجمال وكمال ... لا ... لن يستطيع.. ابدا لن يستطيع .. لن يستطيع ان يذهب الى المراة ، ولن يستطيع ان يأكل بعد اليوم مثل هذا الطبق ! ..

وجاهد نفسه جهاد المستهول العازم . اوصد النافذة . وضع المكنسة حيث كانت . اطفأ النور واستدار . بيد انه لم يكد يحس انه وحيد ، وان الظلمة تكتنفه كأنها تقصيه عن العالم ، حتى نهشته الحسرة ومزقه اليأس . فشق عباب الظلمة ، وجعل يتطلع الى الفضاء كالعميان .. اين يجد خياله، اين يعثر على ضالته ، اين ينقع غلة روحه الطامعة في شيء يراه ولا يراه، يعرفه ولا يعرفه ، يسمع رنين صوته، ويود ان يقتنص الرنين ولكنه لايدري من اين مأتاه ؟... وزحف اليه الفراغ ، الفراغ الضبابي ، الفراغ المحنق ، الفراغ الغاشم . زحف اليه واحتواه . جثم على صدره كما كان يجثم عليه طبق الملوخية الثقيل الغليظ . فشعر انه يكاد يختنق . يختنق بالفراغ والحسرة والطعام والظلام . فأراد ان يتخفف . ان يتنفس . ان ينفض هذا العمل عن بطنه وصدره وينام . فمشى الى الفسحة مهتديا بضوء المصباح الخافت . ثم مشى الى مخدعه . مشى وهو يتعثر . مشى وهو يستعجل الخلاص .

ولما دخل المخدع ، تفرس لحظة في امراته النائمة ، في امراته الجامدة الصارمة المهيبة حتى في غطيطها المتزن الرتيب . فلم يحفل . لمعت عيناه . اندس في رفق بجوارها ، ثم التصق عامدا بها ، ثم مد يده المرتعشة الملهوفة وايقظها ..

القاهرة ... ابراهيم المصري



هـلال ناجي

محاورة الذئب في الشعر العربي

بقلم هـلال ناجي

* * *

للذئب حديث متشعب في ديوان الشعر العربي . لكن محاورته ومكالمته ، والحديث معـه وعنـه ، وانطاقه واستنطاقه ، شيء نادر في شعرنا العربي ، مـا نعلم ان احدا من الباحثين سعى الى رصده من قبل .

وقد يكون مرد هذه الندرة ضياع الكثير مـن شعر الصعاليك العرب الذين اتيحت لهم اكثر مـن غيرهـم مواجهة الذئاب في الفلوات خلل حياة التشرد والصعلكة ، مما قد يكون احتواه كتاب « اشعار فهم » وكتاب «اشعار الازد » . وكتاب « اشعار اللصوص » لابـي سعيـد السكري وسواها من ضائع المصادر والدواوين .

غير ان تراث السلف الذي سلم مـن غير الدهـور حفظ لنا بعضا من هذه المحاورات الطريفة ، التي قـد تختلف في التفاصيل والهدف ، ولكنها تأتلف فيما تدور حوله من محاورة الذئب وانطاقه .

ولعل من اعرق هذه المحاورات ، ذلك اللقاء الشائق بين امريء القيس والذئب على نبع ماء . كان النبع آجنا والكلأ حوله قد امحل وما ثمة صوت يغـري بالاقبال او يوحي بالانس بعد طول وحشة ، فاما الذئب فقد كـان فريدا كما الخليع الذي خلعته عشيرته فليس لـه اهل وليس له مال وليس له عصبة وما ان له زاد . وامـا الشاعر فقد كان غارقا في هواجسه مشغول البال بهـواه والتقيا على النبع فعرض الشاعر على الذئب مشاركته في زاده وعرض عليه اطعامه بلا اسراف ولا تقتير فرد الذئب متعجبا من الدعوة مستغربا الاكرام الذي لـم يلقه ذئب من قبله .

وبحذر الذئب اعتذر عن مشاركة الشاعر طعامه ، لكنه سأله فضلة ماء فاجابه الشاعـر : عليـك بالحوض ففيه بقية مما تركت الناقة . فعـوى الذئب ، مستدعيا رفاقه الابعدين من الذئاب ليشاركوه فضلة المـاء تعبيرا عن حبه لبني جنسه .. ومضى الشاعر لطيته :

وماء كلون البول قد عاد آجنـا ... قليل به الاصوات في كـلا محل
لقيت عليه الذئب يعوي كانـه ... خليع خلا من كل مال ومن أهـل
فقلت له يا ذئب هل لـك في اخ ... يواسي بلا اثرى عليك ولا بخـل
فقال : هداك الله انـك انمـا ... دعوت لما لـم يأته سبع قبلي
فلست بآتيـه ولا استطيعـه ... ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل
فقلت عليك الحوض اني تركتـه ... وفي صفوه فضل القلوص من السجل
فطـرب يستعـوي ذئابـا كثيرة ... وعديت ، كل من هواه على شغل

وترسم شاعرة من بنـي عجل صورة تفيض حزنـا وتنبض أسى وشجى حين يهلك الطاعون الجارف قومهـا بالبصرة ايام ابن الزبير وتنظر حولها فتجد اهلهـا جميعا قد بادوا وانها بقية قوم هلكـوا ويفاجئها الذئب الجائـع بنداء يحمل في طياته نذر الموت فمـا تتشبث بالحياة ولا تبتئس وما ترهب موتا ولا تخافه ، اذ ما قيمة الحياة بعد فقدان الاحبة . فلا ضير عندها ان تمـوت في اثـر مـن هلكوا نجاء من الاحزان .. وبتلك الروح القانعـة بالمصير تخاطب الذئب المنادي :

الا ايها الذئب المنادي بسحـرة ... هل انبئك الامر الذي قد بدا ليا
بدا لي انـي قـد يئمت وانـني ... بقية قـوم اورثونـي المباكيـا
ولا ضير اني سوف اتبع من مضى ... ويتبعني من بعد من كان تاليـا

لكننا نجد للذئب صورة تختلف في شعر (مكلـم الذئب) ، حين يستحيل الذئب بشيرا برسول ومنبئا عن نبوة . وهي ان صح الخبر ــ مـن معجزات الانبيـاء الكرام ــ التي تحدثنا عنها كتب السيرة .

فمن قصة مكلم الذئب هذا انه كان في غنم له فشد الذئب على شاة منها فصاح فيه صاحبنا فاقعـى الذئب وقال له : اتنزع مني رزقا رزقني به الله قال صاحبنا . فصفقت بيدي تعجبا وقلت : والله مـا رايت ولا سمعت اعجب من هذا ؟! فقال : اتعجب من هذا ورسول اللـه بين هذه النخلات يحدث بما كان وما يكون ويدعو الـى الله عباده ؟! قال : فجئت الى النبي (صلعم) واخبرتـه بالقصة واسلمت . فكان يقال لصاحبنها : مكلـم الذئب ولولده ، بنو مكلم الذئب قال الشاعر :

الى ابن مكلم الذئب ابن أوس ... رحلت غـدا فكنت على أمان

ومكلم الذئب هذا اختلف في شخصه في كتب السيرة النبوية فهو عندهم اصبان بـن أوس الاسلمي وقيـل اصبان بن عياد الخزاعي وقيل بل هو : رافع بـن عميرة الطائي ، غير ان ما يهمنا هو ابيات رافع بـن عميـرة

والمزعوم انه قالها في كلام الذئب اياه وروايتها :

رعيت الضان احميها بكلبي	من الضب الخفي وكل ذيب
فلما ان سمعت الذئب نادى	بشرني باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبي	على الساقين قاصدة الركيب
فالفيت النبي يقول قولا	صدوقا ليس بالقول الكذوب
فبشرني بدين الحق حتى	تبينت الشريعة للمنيب
وابصرت الضياء يضيء حولي	امامي ان سعيت ومن جنوب

وذات ليلة والفرزدق خارج من الكوفة في نفر من اصحابه يريدون يزيد بن المهلب ، فلما عرسوا آخر الليل وجزر شاة وسلخها اعجلهم المسير فوضع المسلوخة على بعير ربطها به . ثم جاء الذئب على ضوء النار فحركها فذعرت الابل وجفلت الركاب منه وتطلع الفرزدق فابصر الذئب ينهش الشاة المجزورة فمضى يقطع من الشاة يرمي بها للذئب يشاركه في زاده ويذيقه رفده ويمنحه قراه . فلما شبع الذئب العبوس تكشر ضاحكا فاستدناه الشاعر وسيفه على مقربة منه وخاطبه . ان كل ولا تخونني نكن اصحابا او كالاصحاب ، فانك والغدر توأمان ولو انك نبهت غيري لتلقاك بسهم او برمح .

لكنك رفيق سفر وصديق رحلة ، ورفاق الطريق اخوة وان تعادى قوماهما ، ولقد خلد الفرزدق هذه الصورة الشعرية الرائعة بالابيات التالية :

واطلس عسال وما كان صاحبا	دعوت لناري موهنا فاتاني
فلما اتى قلت ادن دونك انني	واياك في زادي لمشتركان
فبت أسوي الزاد بيني وبينه	على ضوء نار مرة ودخان
فقلت له لما تكشر ضاحكا	وقائم سيفي من يدي بمكان
تعش فان واثقتني لا تخونني	نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وانت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما	أخيين كانا ارضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى	اتاك بسهم او شباة سنان
وكل رفيقي كل رحل وان هما	تعاطى القنا قوماهما ، أخوان

في ايام صباي كنت ارتاد سهل البطين باراضي اللطيفية وذات مساء علا صراخ صغار الرعيان وهم يعودون باغنامهم الى القرية .. وهببنا لنجدة المستغيثين، لكن الذئب المغير كان قد افلح في خطف شاة من الشياة ولم ندرك منه سوى شبحه يمرق على مبعدة مختفيا في احشاء الظلام . لم يكن اختطاف الذئب لشاة امرا غريبا لكن الغريب هوية النعجة المختطفة ذلك انه من بين مئات النعاج لم يسطو الذئب الا على نعجة امراة ايم لا تملك من دنياها غيرها وحين سرى النبأ في القرية الوادعة علا نحيب من كوخ تلك المراة فكدر صفو الليل الساجي .

ودارت القهوة في المضيف وتشعبت معها الاحاديث لكن النعجة الفقيدة ظلت تستأثر باهتمام السامرين .. بعضهم كان يبتسم في عجب من امر هذا الذئب الذي لم يختر غير نعجة (ام عبد) وهي لا تملك غيرها .

وبعضهم يرد ذلك الى الاقدار .. وبعضهم يرى ان هلاك النعجة الوحيدة هو امتحان من الله لها ، وعلى قدر الصبر يجزى الصابرون . وبعضهم رأى ان فقدان نعجتها هو بشير لها بقطيع نعاج في الآخرة .

وقص بعضهم كيف ان (ام عبد) باعت الشوك اعواما ليجتمع لها ثمن هذه النعجة وانها كانت تريد ان تنسج لها من صوفها كسوة وبساطا .

وقص آخرون ان (ام عبد) كانت تحدثهم عن اللبن الكثير والزبدة الشهية التي ستجنيها اذا ما ولدت نعجتها .

وتحدث آخر عن الحملان الكثار التي كانت تحلم بها ثم تضاحك المتحلقون على القهوة من تعقيب احدهم :

« ملعون الوالدين ـ ابو سرحان ـ شلون عرف نعجة (ام عبد) !!

اما انا فقد هزتني الحادثة من الاعماق ، وفي اعماق نفسي دار حوار بيني وبين الذئب الغادر كانت من ثماره الابيات التالية :

في ريفنا المفضي على جرحه	عاشت مع الالام في حندس
كانت تبيع الشوك اعوامها	فعلت البؤس على اكؤس
احلامها ان تقتني نعجة	من صوفها تثرى وقد تكتسي
ولبن تحلم في مخضه	مخض شحيح في دجى مفلس
وزبدة تطمع في بيعها	لساكن في القصر او معرس
وجاءها الدهر بما ترتجي	من بعد عمر شائه اتعس
فمرت البسمة عجلانه	ما ترتجي البسمة من مدفس
كما يمر البرق لا يبتغي	من وقفة في وجهها الانحس

ذات مساء لونت شمسه	متن الربى فازدان في ملبس
علا صراخ من رعاة الفلا	عاث ابو سرحان بالاروس
وهبت القرية من فورها	تنظر ما كان من المدمس
يا ويل احلام لها بددت	وسالت الادمع للمعطس
الذئب لم يفرس سوى نعجة	وماتت الفرحة في الانفس

سالت ذاك الذئب في حيرة	عن سر جور كان في الاشوس
أيسلب الجائع امثاله	ام انها في طبعك المبلس
من بين الف من شياة الورى	واريت حلم المملق المفلس
فلاح لي من خلف انيابه	طيف ابتسام في فم اعبس
عتبك يا هذا على عالم	شردني في كالح الاطعس
تجوع اطفالي فما سائل	عنها وعني في الدجى الانحس
وحين لم الق سوى سادر	مستوحش الاخلاق مستفرس
آمنت بالجور وها انني ..	وانت النعجة من اطلس
رباه يا خالق كل الورى	فيم خلقت الجور في الانفس

للذئب شأو آخر وصور اخرى في ديوان الشعر العربي بعضهم كالشنفرى صور شكوى الذئب لبني جنسه اروع تصوير وادقه . وبعضهم كالمرقش رسم صورة لاكرامه الذئب الجائع وهي صورة تاثر بها من جاء بعده . وانفرد البحتري بقصيدته التي صور فيها قتله ذئبا في صراع من اجل البقاء . على العكس من ذلك فقد نمت الالفة بين ـ الاحيمر السعدي ـ والذئب فكان من ثمارها قوله :

اراني وذئب القفر الفين بعدما	بدانا كلانا يشمئز ويذعر
تالفني لما دنا والفته	وامكنني للرمي لو كنت اغدر
ولكنني لم يأتمني صاحب	فيرتاب بي ما دام لا يتغير

لكن كل هذه الروائع تخرج عن دائرة بحثنا التي رصدنا فيها (محاورة الذئب) دون غيرها من الصور .

هلال ناجي **بغداد**

قديم جديد عن الشاعر القروي

كتب هذا المقال في ٣١ ديسمبر ١٩٤٤ ولم ينشر

بقلم الدكتور سلمون جورج

***

رشيد سليم الخوري ، الملقب بالقروي ، اي شاعر الضيعة ، معدود بين اشهر شعراء العرب . ففي لبنان وسوريا ومصر وسائر الاقطار التي تتخاطب بلغة القرآن، يتناشدون بالاعجاب والتقدير قصائد هذا الشاعر الذي يقيم بيننا منذ ثلاثين عاما . انه رجل معتدل القامة ، رشيقها ، سبط الشعر ، ذو عينين عسيلتين معبرتين ، ينبعث منهما بريق ناطق بالذكاء والجاذبية . عرفناه منذ ثلاثة عقود فما راعنا منه كتواضعه البارز في بساطته الطبيعية البعيدة كل البعد عن مظاهر الكلفة والتأنق والعجرفة الفارغة . طيب . مخلص . محبوب . تتجلى على محياه مخايل المختارين لحمل رسالة شريفة .

ومنذ خمس سنوات لا يفتأ صديقي الياس عاصي يراودني في ترجمة قصائد رشيد الى البرتوغالية . فاما لاني لم اكن اقدر شاعريته . واما اشفاقا من حمل عبء جديد . او لاني اعلم ان الترجمة لا تختلف عن محاولة القبض على شعاعة من ضوء القمر كنت لا اكف عن الروغان .

وصديقي يلتهب غيرة على شعر صديقه الصادح باناشيد الحرية ، المتقد حماسة لتحطيم قيود الاستعباد .

بيد ان الياس عاصي من الرجال الذي يتقهقرون امام العقبة الاولى ولا العشرين . فما وجدتني هذا العام الا منقادا اليه . وانا على يقين ان هذه الشعرية الشهية بتقطرها من شق يراعي . وانسكابها في آنيتي ، ستفقد معظم طيبها وصفائها ونكهتها . فالحقيقة التي لا يجهلها احد ، ان اللغات كالشعوب يتميز بعضا عن بعض بطبائع وتقاليد ومصطلحات خاصة . ونقل كل هذه العناصر والخصائص مؤمنة سليمة الى لغات اخرى يقتضي التحلي بمواهب خارقة ، اعترف باني اول العاطلين منها.

ومع ذلك فلا يخلو ان يكون بين السهام التي اطلقناها على رفوف هذه الاخيلة المجنحة سهم صائب يرشد الى روعة ودسامة النوع الذي ينمي اليه الطير الواقع .

ولد رشيد سليم الخوري سنة ١٨٨٧ في قرية صغيرة من قرى لبنان . بين مدينتي جبيل والبترون . من ارباف المتوسط التي انطلق منها رواد ابطال من الفينيقيين بمراكبهم الشراعية يحملون المدنية عبر اعمدة هرقل الى شواطىء بريطانيا والبلطيق . وينشئون ويبنون اول ما عرف من المدن والمستعمرات على سواحل افريقيا . ولا بد ان تكون رشيد وهو يتأمل ذلك الخضم العامر تاريخه بالعظائم ، قد غمر نفسه الفخار ببطولات اجداده الذين ابتدعوا الحرف . واطلعوا به على البشرية سناء فجر جديد ، اخرجها من ظلمات ليل الامية الذي غشي ابصارها من عهد التكوين وكان نقطة اعظم وامجد تحول في مجرى التاريخ الانساني على الاطلاق .

لم تتميز حياة رشيد بحوادث غير عادية . درس وعلم بضع سنوات في مدارس اميركية ووطنية . يختار منها كل عام اجملها موقعا ، واطيبها مناخا . وهكذا كان يغذو روحه الشاعرة بكل ما تحفل به مناظر بلاده من فتنة وسحر . ويستنشي من رباها ووهادها وسهولها بقايا انفاس البطارقة والرسل الذين طالما جالوا في ارجائها منذ القديم . وهل في الدنيا ينبوع للفكر اصفى وبيئة للشعر اجمل ، من تلك البيئة وذلك الينبوع اللذين الهما رينان ولامارتين اروع الخواطر الفكرية والمقاطع الشعرية في الادب الفرنسي ؟!

ينبع الشعر من مجرد اسم لبنان الذي يعني الجبل الابيض . طقس معتدل . فصول تتعاقب بنظام . دون ادنى اختلاف عاما عن عام . صادقة الموعد . لا تغش ولا تخون . اغراس تين واعناب كانما نقلت الى الارض من مشاتل الجنة . رياحين مسكرة العبير . كروم زيتون ونخيل وبواسق صنوبر وارز تنبسط فروعها في فضائها، انبساط اسمائها في صفحات الكتب المقدسة . ففي هذا المحيط العابق بالبراءة ، الغني بالمثالية ، نبض قلب الفتى رشيد بالموهبة . واحس بان القدر اختاره ليكون شاعرا يتغنى بالجمال ويعزف على عوده الحان الحرية والاستقلال .

وفي سنة ١٩١٣ هاجر الى البرازيل . ونزل الى ميدان الجهاد في سبيل العيش حول بلدة (مريانا) الموسومة بطابعها الديني وكنائسها القديمة .

في تلك الغربة السحيقة ، وعلى امتداد تلك الطرق الخالية التي لا يؤنس وحشتها من حين الى آخر الا صدى انين العجلات التي تجرها الثيران . كانت تغمر نفسه الكآبة . ويستبد بقلبه الحنين الى الوطن البعيد .

ويرحل الى صنبول ويطبع فيها بما وفره من كد ثلاث سنوات ، ديوانه الاول « الرشيديات » وعلى هذا المنوال يطبع ديوانه الثاني « القرويات » سنة ١٩٢٢ « فالاعاصير » سنة ١٩٣٢ . وهي قصائده النارية التي يحمل بها على الاستعمار . وينشد لبلاده الحرية . ويدعو الى الوحدة العربية . انه لم يعبر البحار باحثا عن شجرة الكنوز المرصودة . بل عن دوحة اخرى عميقة الجذور في تربة العدالة . مسبطرة الفروع في سماء المجد . انه آثر حرية وطنه على حريته الاقتصادية . فهو شاعر اجتماعي . لا شاعر وجداني حسب . يروعك من شعره الغنائي خصب المخيلة الشرقية . ولطائف المعاني الملهمة . وحبه المتناهي للطبيعة . وروائع المعروض من لوحاتها في السماء والارض . اذا وصف زهرة او شجرة او جدولا او برتقالة ، نفحته عروس الهامه بابكار الصور

التي تعجز ريشة الرسام العبقري عن بدائع الوانها .

عندما قرات قصيدته « ليمونتي » خطر على بالي كثيرون من شعرائنا . امثال بازيليو دي غاما وسنطا ريتا دورون وايتا باريكا وبطيخته الشهية التي اذكرها ولعابي يسيل .. وأناناسته المتوجة باكليل الشوك .. ولا انسى كذلك سيزاريو فردي وشمامته التي تعود بنسبها الشريف الى دمشق ..

اما قصيدة « الدوحة الساقطة » لرشيد ، فهي من اروع ما قرات . كنت اظن ان غيرا جونكيرو والبرتو اوليفيرا قد جاءا بكل ما يمكن ان تتفتق عنه اذهان العباقرة في موضوع الشجرة ، ولم يتركا مجالا لقائل . حتى طلع علينا رشيد بدوحته الساقطة التي جمعت محاسن قصيدتي الشاعرين البرازيلي والبرتوغالي . وزادت عليهما ما لم يخطر لهما على بال . فهذه الشجرة التي تتحول الى جسر عظيم . وتدعو الله ان يقوي دعائمها . ويثبت اقدامها . لتعبر عليها الجماهير . حاملة بشرى السلام الى العالم . هي من قصائد المثل العليا الجديرة بان تسمى شعرا تولوستويا ..

بيد اننا لو استعرضنا كل قصائد رشيد ، لوجدنا ان ارفعها شأنا . وابعدها شأوا . لتلك الرافلة بحلة المجد . انها ، ولا ريب ، قصيدة « حضن الام » . التي هي اجل واجمل واسمى من كل ما بلغته مخيلات الشعراء للتعبير عن محبة الام وحنانها . فلا هوغو ولا ريشبان ولا رودنباخ ولا جونكيرو ولا الشعراء الانكليز والطليان والالمان او السلاف جاؤوا بما يستحق المقارنة بهذه الفلتة الشعرية البكر . لهذا اللبناني المتواضع . الذي لا يفتأ يروح شبحه ويغدو بيننا في الحاضرة الصنبولية وعيون هذه الجماهير كلها غافلة عنه .

سألنا رشيدا عن احب الشعراء اليه . فاجاب ، عنترة والمتنبي . الاول فارس قبيلة عبس وشاعرها ابن السوداء الحبشية . خواض الغمرات . وناظم اروع القصائد في حب عبلة . والثاني هو من قيل ان القوافي كانت تخضع لسلطانه . والافكار والاخيلة تزدحم على اطراف بنانه ولسانه . رنت مدائحه الخالدة في بلاط سيف الدولة بابيات تجارت فيها البلاغة والحكمة كفرسي رهان . راس يحاذي راسا وعنان يحتك بعنان .

ولنعد الى شعر رشيد الاجتماعي لنقول انه الفلم الناطق بابرز ملامح شخصيته . فرشيد سليل امة اختارها الله للعظائم . وابن بلاد خصتها السماء باوفر نصيب من الجمال . ولكنها ترزح تحت نير الطغيان الاجنبي . لقد مضه وارمضه ما مضها وارمضها . وكان خير معبر عن آلامها وآمالها . يسدد سن قلمه الى صدر الاستعمار . كما يشرع البدوي رمحه في وجه المغير على مضربه . ويزمجر باعاصيره زمجرة الاسد الغضوب على من يقتحم عليه عرينه . فلكأنه وهو يناضل في ساحة جهاده الادبي ، يردد قول (هايني) :

« الورود الورود ! اني ابتغي اكليلا لراسي في المعترك . ومزهري ! هاتوا لي مزهري ! لاغني نشيد الحرب . كلمات كالاجرام المشتعلة . تنقض على القصور فتحرقها . وتنهل على الاكواخ فتنيرها . انا الفرح . انا الحماسة . انا الثورة . انا السيف . انا النار » .

وما حماسيات القروي الا السيف والنار مجتمعين. قصائده كقصائد كاسترو الفس مسطرة بالدموع والدماء. ولئن اسمعتك هديل الحمائم في مواقف التشبيب بمن يهوى . فانها تزار زارات الليوث الضارية . والسيول العارمة . في آذان المجرمين . المغمدين خناجرهم في احشاء وطنه المعبود . واي وطن هو هذا الوطن ! مهد الانبياء والرسل . وطن محمد الذي خلع على المراة اسنى حلل التقديس حين قال . الجنة تحت اقدام الامهات .

ناهيك بالحضارة العربية . بعظمة عبد الرحمان الثالث الذي جعل من قرطبة بغداد الغرب . والحكم الثاني ومكتبته التي كانت تضم جناحيها على اربعمائة الف مجلد علق الحواشي على الوف منها . والمنصور وغزواته التي كان يصحبه فيها اربعون شاعرا لتمجيد بطولاته . وتخليد فتوحاته . الم يكن العرب ، كما يشهد (غبنز) ، خير سلالة بيضاء تلألأت انوارها في دياجي القرون الوسطى ؟! أولم يعترف (لـه بـون) في معرض الكلام عن كشوفهم العلمية الخطيرة ، انهم لا يضاهيهم شعب في انجاز اضخم الاعمال باقصر الازمان ؟ اولم يثبت ميشال ت. اعظم مؤرخي فرنسا ، ان العرب ارحم الناس في الحروب واعفهم عند المقدرة ؟ اليست هذه الامة الباسلة الحالمة هي التي اتحفت الدنيا بالحمراء والف ليلة وليلة ؟

اجل . وتلك هي الامة التي فتح الشاعر عينيه عليها . فتفطر قلبه حين وجدها مريضة مدنفة مدماة في قيود الذل . تعاني اشد الوان البغي والطغيان . فاشعار رشيد لا تتسم بشجو (المعتمد) في منفاه بطنجة . ولا بحنين (المغربي) الى اندلسه وهو مبعد في مصر . بل هي اشبه بدمدمة الجحافل الزاحفة الى ميادين الوغى . ولذا كان مغاوير الدروز في حملاتهم على الفرنسيين يهزجون باناشيد الشاعر الكبير ، الذي سيخلد ذكره في حماسياته القومية خلود تاديو كزيوسكو في صراعه الادبي من اجل وطنه بولونيا .

لقد حاولت المستطاع في نقل بعض قصائد هذا الشاعر المشهور الى البرتوغالية ، وانا على يقين اني لم اتمكن من القبض على اشعة القمر .. ولكني لا اعدم الرجاء باني قد اوصلت الى مسامع كثيرين ، ولو صدى خفيفا لحفيف اجنحة هذا النسر المحلق في الاعالي . وجعلتهم يستشفون من خلال بعض هذه الترجمات ، جانبا من عبقرية شاعر عربي اكسب امته شرفا بروائع خياله وبدائع فنه . ولا سيما بايمانه الموطد الاركان على مبادىء العدالة الخالدة وجمال الحرية السرمدي .

صنبول ـ البرازيل — **سلمون جورج**



عبد الرزاق الهلالي

حقائق جديدة في حياة الزهاوي

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

لقد شاءت المصادفات اللطيفة ، ان تجعلني في عداد دارسي شاعر العراق الكبير ، المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، بل ومن اكثر المعنيين بحياته ، وفكره وادبه ! اما ما هي تلك المصادفات ، فأذكر منها تلك التي كانت الدافع الاول لهذا الاهتمام ، وخلاصتها :

اني عندما كنت أقرأ مجلة « المؤرخ » التي اصدرها الاستاذ المرحوم رزوق عيسى في بغداد سنة ١٩٣٢ وجدت في عددها الصادر في شهر كانون الاول من تلك السنة عنوانا غريبا هو « حكومتي لا تعطي لمن سكت » فرحت بدافع حب الاستطلاع ، اقرأ ما جاء تحت هذا العنوان ، فماذا قرات ! قرات ما كتبه صاحب المجلة قائلا :

« وقع قبل ربع قرن ، حادث خلاصته ، انه في احد الايام زار الاستاذان ، الزهاوي والرصافي ، احد ساسة الانكليز ، الرحالين ، المدعو الدكتور ارنست لويد في احدى الدور الواقعة في محلة رأس القرية وكنت اترجم ما يدور من حديث بين الثلاثة ، ومما قاله الزهاوي للرحالة الانكليزي ، قوله : ان حكومة تركيا ، التي على رأسها السلطان عبد الحميد ، الطاغية ، عينت لي راتبا، اتقاضاه في غرة كل شهر، لكي لا اندد بسياستها الخرقاء، واغض الطرف عن مساوئها !!

فأجابه ، ذلك السياسي على الفور قائلا :

اخطأت ايها الاستاذ الطالب للاصلاح .. ان حكومتي لا تهب اموال الامة لمن يعرف الحقيقة ويسكت عنها ، بل تغدق عليه العطايا والهبات والالقاب السامية اذا نطق فأرشدها الى الصواب والحكمة !!

فاحمرت وجنتا الاستاذ ـ الزهاوي ـ من بيان مناظره ، وتلعثم لسانه المشهود له بالذلاقة ، واقسم بالله انه سوف ينظم قصيدة بعنوان « ان حكومتي لا تعطي لمن سكت » وينشرها في احدى جرائد مصر !

ولست اعلم ان كان شاعرنا الزهاوي ، بر بوعده ، لاني لم اعثر في ديوانه المطبوع على قصيدة بهذا العنوان!! بيد انه نظم قصائد كثيرة بهذا المعنى ، ومطلع احداها :

هي الحقيقة ارضاها وان غضبوا ... وادعيها وان صاحوا وان جلبوا

وجاء في قصيدة اخرى :

قولوا الحقيقة جاهرين واعلنوا ... للناس ما فيها من الاسرار
ان لم تقولوا الحق عند ثبوته ... جهرا فما أنتم من الاحرار »

تلك هي القصة التي رواها لنا صاحب مجلة « المؤرخ » وقرأتها بعد ثلاثين عاما من نشرها فاذا بي اجد نفسي مدفوعا بعنوان تلك القصة ، وقلت يا حبذا لو تسنى لي دراسة هذا الجانب من حياة هذا الشاعر الكبير ، الا وهو جانب (الثورة والسكوت) ! ثم تشاء المصادفة ايضا ان اروي هذه القصة للاستاذ الاديب صاحب جريدة « الايام » وبعدها « البلد » ، للاخ عبد القادر البراك ، فاذا به ينشر في اليوم الثاني خبرا يعد قراءه فيه قائلا بان الهلالي سينشر بمناسبة ذكرى وفاة الزهاوي ، (تحقيقا هاما) !!

فتجاه هذا الوضع وجدت نفسي مضطرا لاعداد هذا التحقيق ، الذي نشرت مقالته الاولى يوم (٢٦ ـ ٣ ـ ١٩٦٣) تحت عنوان « الزهاوي بين الثورة والسكوت »، حتى اذا اكتملت حلقاته نشرتها لي « دار الثقافة » في بيروت (كتيبا) يحمل العنوان نفسه !!

جئت بهذه النبذة عن تلك المصادفة التي كانت السبب في حملي على دراسة حياة هذا الشاعر الكبير ، لانطلق منها الى القول ، بان صلتي بالزهاوي لم تنقطع منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا ، اذ اخذت على عاتقي دراسة حياة هذا الشاعر ، دراسة شاملة ، حتى اذا تسنى لي القاء النور الساطع على مختلف جوانب تلك الحياة ، خرجت بدراسة موسعة عنه اسميتها « الزهاوي في مواقفه الفكرية والادبية » وقد استطعت بما بذلت من جهد ، ان اكشف عن بعض الحقائق (الجديدة) في حياته ، تلك الحقائق التي اخفى هو نفسه ، قسما منها، وضاع القسم الآخر بين الاضابير والمظان ، ولما كنت اعتقد ، ان في الكشف عن هذه الحقائق ، فائدة كبرى ،

فقد رايت ان الخصها على صفحات مجلة « الاديب » الزاهرة ، لتكون مرجعا للراغبين في دراسة حياة هذه الشخصية العراقية الكبيرة والباحثين في ادبه وفكره !

ولما كانت تلك الحقائق كثيرة ، فهاأنذا ، الخصها للقاريء الكريم على الوجه الآتي :

اولا ــ تقويم وتقويم !

ان دارسي حياة المرحوم الزهاوي يعتبرون الترجمة التي كتبها الزهاوي عن حياته ونشرها الدكتور محمد صبري في الجزء الثاني من كتابه « شعراء العصر » الذي اصدره في القاهرة سنة ١٩١٢ ، ان هؤلاء الدارسين يعتبرون هذه الترجمة ، اقدم ترجمة كتبها الزهاوي عن حياته . ولما كان الزهاوي في تلك الترجمة قد اثبت كثيرا من التواريخ وقال عنها انها (تواريخ هجرية) باضافة حرف (هـ) بعد كل تاريخ منها ، فقد حولها بعض دارسي حياته الى ما يقابلها من التاريخ الميلادي ، وهم بعملهم هذا لم يكونوا دقيقي الملاحظة بعد ذلك التحويل ، لانهم لم يهتموا بواقع الحال ، اهتمامهم بالرقم ! وهم بهذا التحويل (على ما ظهر لنا بعد الكشف عن حقيقة التقويم الذي استعمله الزهاوي) قد وقعوا في الخطأ ، فنتج عن ذلك تداخل الاحداث التاريخية بعضها ببعض !

فلقد استعمل الزهاوي التاريخ (الرومي) وان كان قد وضع حرف (هـ) بعده ، ذلك لان الاتراك ، درجوا على ان يكتبوا هذا التاريخ في معاملاتهم علاوة على التاريخ الهجري الاسلامي !

وحيث ان الفرق بين التاريخ الهجري الاسلامي ، والرومي ، (سنتان) ، اي ان (الرومي) يقل (سنتين) عن (الهجري الاسلامي) فقد كان على دارسي الزهاوي ان يضيفوا (سنتين) على ما سجل في كتاب « شعراء العصر » قبل ان يحولوا ذلك الى ما يقابله من التقويم الميلادي !

وكمثال على ذلك الخلط بين التقويمين نقدم الحقيقة الآتي بيانها :

قال الدكتور محمد صبري في الصفحة (٣٩) من الجزء الثاني من كتابه « شعراء العصر » ما نصه :

« وفي ٣٠ تشرين الاول سنة ١٣٢٤ هـ عين استاذا للفلسفة الاسلامية في المكتب الملكي في الاستانة .. » فهل هذا التاريخ صحيح اذا اعتبرناه هجريا ؟!

ان المعلوم تاريخيا ، ان الزهاوي سافر الى استانبول بعيد الانقلاب العثماني اي في سنة ١٩٠٨م ، وهذا التاريخ الميلادي يقابل سنة (١٣٢٦ هـ) فما الذي نرى من هذه الحقيقة ؟ نرى ان ما ذكره الدكتور محمد صبري ، انما هو التاريخ (الرومي) ولذلك لو اضفنا اليه (سنتين) ينطبق التاريخ مع التاريخ الذي ذكرنا وهو سنة (١٣٢٦ هـ) .

ان هذه الحقيقة تكشف عن الاخطاء الكثيرة التي وقع فيها بعض دارسيه ، وهو ما بيناه بالتفصيل في كتابنا « الزهاوي في مواقفه الفكرية والادبية » الذي نأمل صدوره في المستقبل القريب ان شاء الله !

ثانيا ــ الزهاوي وابو الهدى !

ومن الحقائق التي اتضحت لنا ، ان الزهاوي روى انه القى قصيدته « حتام تغفل » في دار شيخ الاسلام الشيخ ابي الهدى الصيادي والتي مطلعها :

الا فانتبه للامر حتام تغفل   اما علمتك الحال ما كنت تجهل ؟

وان هذا الشيخ رفع تقريرا ضده الى السلطان عبد الحميد ، فنفاه هذا الى بغداد !!

هذا ما رواه الزهاوي للاستاذ المرحوم رفائيل بطي الذي اثبته في كتابه « الادب العصري في العراق العربي » الذي اصدره في القاهرة سنة ١٩٢٣ ، فهل كانت هذه الرواية صحيحة ؟!

لقد ظهر لنا ان ذلك غير صحيح ، بل الصحيح ، ان الزهاوي كان قد قرأ قصيدته التي نظمها بمناسبة انتصار الجيش العثماني على الجيش اليوناني والتي مطلعها :

هو الفتح القى في قلوب العدى هولا   واثبت ان الحق يعلو ولا يعلى

وان الشيخ الصيادي ، اخبر السلطان بها ، فاصدر امره بتعيينه (واعظا عاما في اليمن) اما قصيدته « حتام تغفل » فقد قراها في احد الاجتماعات السرية التي عقدتها الخلية التي يرأسها الشاعر التركي صفا بك والتي كان الزهاوي من اعضائها ! وبتقرير رفعه احد جواسيس السلطان تقرر نفيه الى بغداد في سنة ١٩٠٠م .

ثالثا ــ الزهاوي وعبد الوهاب باشا !

لقد ذكر بعض دارسي الزهاوي ، ان الزهاوي قد اصدر كتابه « الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق » في زمن الوالي عبدالوهاب باشا الالباني للتخلص من كيد هذا الوالي ومن خصومه المحيطين به !

ولكننا عندما انهينا قراءة كتابه هذا ، وجدناه يقول في خاتمته بانه (قد تم تنميقه في غرة رمضان سنة ١٣٢٢ هـ) .

ولدى الرجوع الى الجزء الثامن من كتاب « تاريخ العراق بين احتلالين » لمؤلفه الاستاذ عباس العزاوي للوقوف على تاريخ وصول الوالي (الالباني) الى بغداد ، وجدنا هذا المؤرخ يقول ان هذا الوالي كان قد وصل الى بغداد يوم (٨ شوال سنة ١٣٢٢ هـ) فماذا نفهم من هذا ؟ نفهم ان الوالي عبد الوهاب باشا الالباني ، قد وصل بعد انتهاء الزهاوي من (تنميق) كتابه بخمسة اسابيع ، ومن ثم فلم يكن لهذا الوالي علاقة به ؟!

رابعا ــ الزهاوي والاتراك !

ان من يقرأ دواوين الزهاوي ، لا يجد فيها اي

اشارة الى قصائده التي نظمها في الحث على الجهاد ، ومدح الجيش العثماني ، تلك القصائد التي نظمها في بداية الحرب العالمية الاولى ، فقد حذف الكثير منها ، وما اثبته منها جعل له عناوين جديدة لا علاقة لها بها .

ومن تلك القصائد ، قصيدته (الرائية) الطويلة التي نشرها تباعا على صفحات جريدة « صدى الاسلام » في شهر مايس (ايار) سنة ١٩١٦ ومطلعها :

الا ايها الجيش اللهام المعسكر تقدم فانت المستطيع المظفر

ومدح فيها انور باشا الذي زار بغداد يومذاك قائلا :

أأنور انت اليوم درع لامة يحاربها ثلثا الانام واكثر

ومما يلاحظ انه لم ينشر من قصيدته هذه التي ناهزت (المئة بيت) سوى (١٣) بيتا في الصفحة (١٠٩) من ديوانه تحت عنوان « اليك تنظر » وكتب في صدرها عبارة (يخاطب بها الجيش) دون ان يذكر اي جيش هذا !! وان كانت الابيات تدل على انه الجيش العثماني !!

خامسا — الزهاوي وشهداء سورية .

وللزهاوي قصيدة عنوانها « النائحة » ومطلعها :

على كل عود صاحب وخليل وفي كل بيت رنة وعويل

وانه عندما اثبت بعض ابياتها في الصفحة (١٦٨) من ديوانه ، قال في صدر الصفحة :

« وهي قصيدة يرثي بها من شنقهم جمال باشا في سورية من افاضل العرب » .

فمتى نظم هذه القصيدة ؟! هل نظمها عند ارتكاب هذه الجريمة النكراء ، كما توهم بعض دارسيه ؟ ام نظمها بعد ذلك التاريخ اي بعد (٦ ايار ١٩١٦) ؟!

لقد تأكد لنا انه نظمها بعد مرور (سنتين وخمسة اشهر) لا كما توهم الاستاذ علي عباس علوان في رسالة الماجستير « شعر جميل صدقي الزهاوي » وغيره ودليلنا هذا المقطع الذي لم يثبته في ديوانه ، ولكنه مثبت مع القصيدة في كتاب « الادب العصري في العراق العربي » لمؤلفه الاستاذ رفائيل بطي وهو قوله في انقاذ دمشق :

قد اسود ليل الظلم حتى كانه	ستار على الارض الفضاء سديل
الى ان اتى بالفتح جيش عرمرم	مدافعه تنكى العدا وتهول
وجاءت خيول العرب تعدو وراءها	بمقربة للانكليز خيول
هنالك(اهل الشام) صاحوا وكبروا	وكبر اعلام لهم وسهول

فمتى كان انقاذ دمشق من الاتراك ، هذا الذي يتحدث عنه الشاعر ؟ لقد كان يوم (١ — ١٠ — ١٩١٨) اي ان الزهاوي نظم قصيدته هذه بعد هذا التاريخ على اي حال !!

سادسا — الغاء وظائف الزهاوي !

قال الزهاوي في ترجمة حياته « وبعد قدوم جلالة الملك فيصل الى بغداد ، بشهرين ، الغيت وظيفتي في (العدلية) وقطع راتبي ، وعلمت انه سيقطع كذلك راتبي في المعارف فتركته من نفسي .. »

فهل كان الزهاوي دقيقا في كلامه هذا ؟!

لقد ثبت لي بما لا يقبل الشك ، بان الحقيقة غير ما ذكر الزهاوي ، ذاك اني لما وقفت على اضبارته التقاعدية التي بحثت عنها في مديرية التقاعد العامة ، ظهر لي من الاوراق والوثائق الرسمية ، ان وظيفته في العدلية وهي (رئاسة لجنة تعريب القوانين التركية) كانت قد الغيت بتاريخ (٣٠ — ٦ — ١٩٢١) اي بعد يوم واحد من وصول الامير فيصل الى بغداد . في حين ظهر لنا منها ايضا بانه ترك عمله في المعارف بتاريخ (٣١ — ٧ — ١٩٢١) .

سابعا — تقاعد الزهاوي !

لقد قال الزهاوي في ترجمة حياته ، بانه قد استدعى بحق (التقاعد) فلما ظهر ، ان هذا الراتب التقاعدي هو (١٥٠) روبية في الشهر ، رفضها قائلا « لاني وجدتها دون استحقاقي » ، فهل صحيح انه رفض هذا الراتب ؟!

لقد ثبت لنا من دراسة الوثائق الموجودة في اضبارته التقاعدية ، بانه قد طالب السلطات آنذاك لزيادة هذا الراتب ، وانها مساعدة له جعلته (٢٠٠) روبية في الشهر ، حتى اذا تم له ضمان هذا الراتب ، سافر الى القاهرة سنة ١٩٢٤ كما هو معلوم .

ثامنا — الزهاوي الناقد !

لقد ظهر لي ، وانا ادرس حياة هذا الشاعر الفكرية والادبية ، بانه قد قام بنقد عدد من كبار الشعراء ، فقد نقد شعر الاستاذ عباس العقاد ونشر نقده هذا على صفحات مجلة « لغة العرب » في اعدادها الصادرة سنة ١٩٢٨ كما انه فقد ثلاث قصائد من ديوان « الشوقيات » ولكنه وهو ينشر فصول هذا النقد لم يكن يوقع عليها الا باسمه الصريح ولا بتوقيع مستعار !

ثم انه نقد شعر الاستاذ الرصافي بمقالات عدة نشرها بتواقيع مستعارة على صفحات جريدة « الفيحاء » الدمشقية !

وقد تسنى لنا جمع فصول هذا النقد من مظانها المختلفة تمهيدا لنشرها في كتاب اسميناه « الزهاوي ناقدا » .

تاسعا — قصيدة عريانة !

وهذه قصيدة طويلة عدد ابياتها (٢٣٥) قال عنها المرحوم الدكتور ناصر الحاني ، بانه قد اطلع عليها عند السيد جودت عبد المجيد قريب الزهاوي ، ولاحظ بعد قراءتها انها قصيدة فيها كثير من (المجون والخلاعة) وانه نظمها على سبيل الفكاهة في احد (الباركات) في احد البلدان الاجنبية ، فماذا قال ؟!

لنستمع اليه وهو يصف ذلك (البارك) قائلا :

ما البارك الا بقاع للمخزيات جماع

ثم يقول فيها :

كفاح غزة

رمز البطولة انت غـزة هاشم
وحمى العروبـة والحفاظ الحازم

انـزلت بالاعـداء كـل بليـة
واذقتهم مـر الكفـاح الصارم

هم يحسبون بان حوضك سائـغ
للطامعين فخاب ظـن الواهـم

مـا ليلهـم بحماك ليـل آمـن
كـلا وليس نهارهـم بالسالـم

فالرعب ايـن تحصنوا يلقونـه
في حصنهم بـل في سرير النائـم

والموت كيف توجهـوا يجدونـه
رصدا لهـم في كف ليث ناقـم

في الدرب ، في سيارة ، بمخيم
في مخفر ، او عنـد جسر قائـم

يتساءلون اغـزة هـي مسكن
للجن ؟ ام هـي غابـة لضراغـم

لم تجدهم في الجـور اي وسيلة
خطرت لعـات في البريـة ظالـم

نسف البيوت وحرقها والقتل لا
يثني المناضل عـن حمى ومحارم

عقبى الغرور مدى الزمان وخيمة
كم بـاء صاحبه بصفقة غـارم

يـا ايهـا الغازون ليـس بغـزة
لكم سوى الموت المريـر الحاسم

ابطال غـزة ليس يلـوي عزمهم
طغيان بـاغ او ضـراوة غاشم

وهم الاباة الثائرون علـى الاذى
والصامدون لكـل خطب داهـم

افتأملـون بـأن يقـر بأرضهـا
لكـم مقام ؟ ذاك حلـم الحالم

ارض العروبـة للعروبـة كلهـا
ليست لشـذاذ ولا لاعاجـم

في كـل شبر مـن ثراها غرسة
للعرب ذات علـى وذات مكـارم

لـن يتركوها للدخيل يعيث فـي
انحائها بمفاسـد ومظالـم

الله حسبك ايهـا الساري علـى
بركات ربـك غيـر بـاغ آثـم

ترجـو معونتـه لقهـر عـدوه
فلينصرنك وهـو اعـدل حاكـم

وليخذلـن البغـي حتـى ينجلي
وتعود انت بثغـر نصر باسـم

حلـب

محي الدين الحاج عيسى

في (البرك) وهو كسوق يباع مـا لا يباع
هناك تمشي الى جانب الظباء الضيـاع
هناك للعين تبـدو مـن الحلي شعـاع
تلـك الخريدة بيضاء لان منهـا الطبـاع
وهـذه البكر سمراء مـا عليهـا قنـاع
تلقى بها نظـرات مـن الحسان تبـاع
اشـارة فكـلام فموعـد فاجتمـاع

عاشرا ـ ابيات الرصافي !

حين وري جثمان المرحـوم الزهاوي ، التـراب ، وقف زميله الاستاذ الرصافي ، ليلقـي خمسة ابيات ، اعرب فيها عن مشاعره قائلا :

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى
مثل ميت وصرت بالموت حيـا

مـا حياة العظيم الا خلـود
بعد موت يكون للجسم طيـا

سوف يبقى بين الورى لـك ذكر
(ناطق) بالبقاء لم يخش (عيا)

انت فرد في الفضل حيـا وميتـا
حزت في الحالتين ذكـرا عليـا

سوف ابكي عليك شجوا وانـي
(بك قد كنت في الحياة شجيا)

هذه هي الصورة الصحيحة لابيات الرصافي ، كمـا وقفت عليها في عدد جريدة الاستقلال الصادر يوم (٢٥ـ ٢ ـ ١٩٣٦) وفيها حقيقة ترينا ان (كلمة وشطرا) منها قد حرفها او غيرها الرواة ، فقد وضعوا (شيا) بـدل (عيا) في اخر البيت الثالث !

وجعلوا الشطر الثاني مـن البيت الخامس (كنت ابكيك في الحياة شجيا) وهذا خلاف ما قال الرصافي !

وبعـد :

فهذه عشر حقائق اقدمها لقراء مجلـة « الاديب » الزاهرة ، ارجو ان اكون قـد وضعت بعرضها ، بـين ايدي الدارسين والباحثين ، مادة حريـة بالتقديـر والاهتمام لا سيما وانها تكشف عن كثير من جوانب حياة هذه الشخصية العراقية الكبيرة التي تركت لها في سجل الفكر والادب صفحات لوامع .

بغـداد

عبد الرزاق الهلالي

زوجي العزيز .

هناك دوافع كثيرة دفعتني للكتابة اليك ، ومصارحتك بكل ما يدور في رأسي . وكثيرا ما حاولت ان اشرحها لك شفهيا ، ولكني كنت اجد الافكار تضيع ، والكلمات تتلاشى .. والحروف تهرب ... وابقى مع حيرتي وحزني ودموعي . ولهذا عمدت الى الكتابة اليك ،لاكون بعيدة عن سحرك وتأثيرك ولاصارحك بالحقيقة وهي : انني اشقى الزوجات .

لا تعجب .. لا تدهش .. لا تتساءل وتذهب بك الظنون بعيدا . فانا ما زلت احبك ، وما زلت اذكر قصة حبي لك يوم كنت طالبة في آخر صف اعدادي . وكنت انت الاستاذ الذي يدرسنا مادة « الكيمياء » .

بدأت قصة حبي لك عندما رأيتك تدخل غرفة الصف بخطواتك الرزينة الهادئة . وتلقي علينا محاضرة عنوانها الاجتهاد والاخلاق والعمل ثم تشرح لنا الدرس بنبراتك القوية . ومحياك المليء بالثقة والاعتداد بالنفس . وفي عينيك يشع بريق غريب ، بريق فيه قسوة وفيه لين، بريق تخافه ولكن تحبه .

ومن يومها دخلت حياتي .. ولم تعد صورتك تبرح مخيلتي .. وبت امير احلامي ، لا اغفو الا وصورة طيفك آخر ما ارى . ولا افتح جفني الا على طيفك .

تراك ذاكر كيف ارتميت في احد الايام وتدحرجت من اعلى سلم المدرسة حتى اسفله ، فاصابتني جروح عديدة وانتابتني آلام كثيرة ؟ احسبك تذكر هذه الحادثة . ولكنك قطعا لا تعرف سبب ذلك . دعني اصارحك بما اخفيته عنك سنين ، واقول لك وللمرة الاولى.. انك انت السبب في كل ذلك . فلقد رأيتك في اسفل السلم ، وحاولت ان الحق بك ، لامتع نظري برؤيتك، ولاسعد قلبي وابهج نفسي بسماع صوتك ، ومن شدة سرعتي وارتباكي زلت قدمي ، فلم اعد اشعر بشيء . وافقت من غيبوبتي لارى نفسي بغرفة الناظرة ، وانت الى جانبي . نسيت آلامي ، لم اعد اشعر بها ، فكأن نظراتك الحانية ، وابتسامتك الودود مخدر قوي ضاع به الالم . وتفحصت جروحي برقة . وقلت لي بصوت يفيض عذوبة :

ـ من الافضل ان تذهبي الى الطبيب يا سوسن .

ـ ابدا ليس هناك داع للطبيب يا استاذ .

تحاملت على نفسي ، ووقفت بصعوبة ، فأمسكت يدي ... وتمنيت لو امسكت بها ابد الدهر.

قلب في رسالة

بقلم سلمى لحام العطري

وحين تغيبت عن المدرسة كنت دائم السؤال عني . فكان هذا يسعدني جدا ويجعلني احلق في اجواء من السعادة والبهجة والامل .

كنت اغار عليك من كل صديقة تمتدحها او تفضلها علي ، ولهذا اخذت اجتهد واذاكر دروسي من اجلك ، لالفت نظرك ، لاسمع كلمة حلوة منك ، ولانال اعجابك وتقديرك . ونلت ما اردت ، فكنت دائم الثناء على اجتهادي وذكائي ، وبت تلميذتك المفضلة ، فأنصت واستمع اليك وانت تلقي الدرس بصمت وخشوع ، كخشوع وصمت العابد المتنسك . كنت استمع اليك بقلبي وروحي ونفسي .. بجميع كياني . حتى انني كنت اتضايق من صوت انفاسي المترددة وخفقات قلبي المتسارعة .

قصة

مضى العام سريعا ونجحت . وكان نجاحي بالنسبة لقلبي كارثة تحل به .. واية كارثة اكبر من ان تغيب عن عيني . بكيت كثيرا .. وحزنت وتأملت ، وزرت مدرستي لاسباب شتى سرعان ما يختلقها قلبي ليحتال على رؤيتك وانت لم تلحظ .. لم تشعر بي وبحبي .

مضت الايام وذهبت سنين فخبت شعلة حبك ، ويئس قلبي من حبه الصامت المعذب ، ففتر لساني عن ذكرك . واسدل النسيان ستائره على قلبي ، فتلاشت صورتك ، وضاع سحرك ، ولم تعد ذكراك الا صورة جميلة عابرة .

وفجأة ، وبعد خمس سنوات اجتمعت بك ، عند صديقتي « سلوى » ولم استطع كتم فرحتي الكبرى بك ، وانا اراك امامي بقامتك الطويلة ، وعينيك الجميلتين ، ونظراتك الحانية الوديعة ، والشعيرات البيض التي بدت تغزو دجى شعرك . وتطلعت الي بفرحة واعجاب وانت ترى تلميذتك التي كانت ترتدي ثوبها المدرسي ، وتحزم شعرها بالشريط الابيض . باتت صبية ناضجة . وابتسمت وما اجمل وابهى ابتسامتك وقلت لي وعيناك تتفحصان شعري المتناثر على كتفي .. عيني .. اعتدال قامتي دقة خصري . وصحت باعجاب :

ـ آه ما هذا يا سوسن .. لقد بت صبية رائعة الجمال .

وتعددت لقاءاتنا عند صديقتي « سلوى » زوجة قريبك . لقاءات كنت اخالها صدفة ، ولم اعلم انها نسيج احتيالك على رؤيتي الا فيما

بعد . تراك ذاكر ما قلته لي ذات مرة ، عندما خرجت قريبتك لبعض الشؤون :

ـ سوسن اريد ان اراك لاعرف رأيك في مسألة ضرورية .

فازدادت خفقات قلبي ، وتسارعت دقاته ، وشعرت بقدمي ترتجفان وترتعشان ، واستولى علي الارتباك والحيرة . وعدت تسألني :

ـ سوسن اين أراك ؟

وبصوت مرتجف خائف قلت لك :

ـ لا استطيع ان اقابلك .

وقطع علينا الحديث حضور زوجة قريبك وصديقتي ، فهممت بالانصراف وعندها رايتك تتطوع لتوصيلي .

كانت الطبيعة تزمجر غاضبة ثائرة ، والسماء ملبدة بغيوم كثيفة .. والجو بارد ، والمطر يتساقط ، وجلست الى جانبك في السيارة خائفة واجفة ، منكمشة كعصفور فاجأته عاصفة باردة ، تخالجني الشكوك والظنون . ورايتك تتجه بي نحو الغوطة ، وعندما سألتك عن السبب قلت لي وانت تبتسم بثقة :

ـ ان لي معك حديثا طويلا ، الا تثقين بي ؟

كنت اثق بك كل الثقة رغم الاقاويل التي سمعتها تحاك مجددا حول سلوكك ، فقد سمعت عنك انك شاب مغامر ، لك في دنيا الهوى صولات وجولات ، رغم الوقار والعزم اللذين يبدوان في محياك وطلعتك فحدثت نفسي بخوف وقلت :

ـ ربما كان كذلك ، وانا لن اكون بطلة لاحدى مغامراته . ماذا يريد مني ؟

والتفت اليك لاواجهك بما يدور في راسي من ظنون . فكانت نظراتك الحانية الودود ، كشعاع الشمس اذاب شكوكي وازال مخاوفي . وكأنك قرات ما يدور في رأسي فقلت لي بحنان :

ـ ما بك يا سوسن خائفة منكمشة هكذا ؟

ـ لا شيء على الاطلاق وكل ما هنالك اني اخشى ان يراني احد .

وبصوت ساحر قلت لي :

ـ لا تخافي .. فأنا معك .

وبعد فترة من الصمت اللذيذ ، رأيتك تلتفت وتقول لي بارتباك :

ـ أتؤمنين بالحب يا سوسن ؟

فقال لك لساني :

ـ لا انه سخافة كبرى !

ـ انك تمزحين بدون شك .

ـ ابدا ، فانا لا اؤمن بحب الرجل .

ابتسمت ابتسامة لم استطع تفسيرها وقلت لي :

ـ لو سمعت هذا الكلام من فتاة غيرك لسألتها ، ان كان هناك حبا فاشلا في حياتها ، او ان هناك رجلا خدعها او خانها .

ولم تعبأ بنظراتي الغاضبة بل تابعت قائلا :

ـ اما انت يا سوسن فأنا اعرفك كل المعرفة ، وان ما تقوليه ليس عن تجربة بل سمعت بعض المعقدات يقلن : الرجال ذئاب خداعون كاذبون .

ـ سألتك بتحد :

ـ أولستم كذلك ، اريد ان اسألك كم مرة احببت ؟

قهقهت بسعادة قائلا :

ـ شكرا لك على حبك يا حسنائي الصغيرة .

ـ صحت بعصبية :

ـ ولكني لم اقل انني احبك .

ـ عيناك قالت ذلك ، وانا انسان اصدق لغة العيون .

فتنهدت قائلة :

ـ عيناي تكذبان .

ـ ان العيون لا تكذب يا سوسن . فهي رسول القلب ومرآته الصادقة . ولعلك سمعت بعض القصص المبالغ بها عني ؟

اجبتك بسخرية :

ـ طبعا ستقول لي انك لم تعرف الحب بعد ؟

وبعد برهة من الصمت قلت بنبرة صادقة :

ـ نعم يا سوسن فانت اول حب . لا تذكريني بماضي فأنا رجل لا ارفض المتعة اذا اتيحت لي ، وهناك فرق بين الحب والمتعة . لقد احببتك بقوة وثقي انني لن اغدر بهذا القلب النقي الطاهر ، والوجه البريء . ولا انكر انني حاولت نسيان هذا الحب ، فهناك فارق السن بيننا ، ولكن حبك كان اقوى من كل اعتبار ، فهل تقبلين ان تكوني شريكة حياتي .

واصبحت زوجتك ، وتهت فخرا بين صديقاتي ، الاستاذ محسن الذي تحلم به الكثيرات والذي لم تستطع فتاة الفوز بقلبه ، جاء يقدم لي قلبه وحبه ولقبه ، وشعرت بالسعادة تغمرني ، وانا اسير بقربك وكأنني اطير من الفرح .

واعمتني الفرحة في بادىء الامر عن رؤية حقيقتك ، وبدأت افتح عيني على واقعي وانني بالنسبة لك دمية او تمثال من الرخام كما تقول وكان هذا يشقيني ، واخذت تعاملني كطفلة ليس عليها الا الطاعة العمياء ، فطلباتك اوامر يجب ان تنفذ دون اية مناقشة او جدال ، وعلي ان آتمر بأمرك ، وانتهي لنهيك ، فأحب ما تحب ، واكره ما تكره ، وكأن صورة الطالبة ما زالت محفورة في مخيلتك . ولكني اليوم لست تلميذتك انني زوجتك شريكة حياتك ، ولي اراء خاصة غير ارائك ، وافكار غير افكارك . فأنا انسانة ولست ظلالك . اريد ان ارتب منزلي كما اريد ، ان اختار لون ستائره . اريد ان اشعر انني سيدة هذا المنزل ولست آنية صماء من الزهور تنقلها من مكان الى اخر . وطلبت شيئا من الحرية والاستقلال اللذين تتمتع بهما اقل الزوجات شأنا ، وساءك وانت الاستاذ ان تثور تلميذتك وتشق عليك عصى

عطش وجوع

يا عائدين الى الربوع   قلبي تحرق للرجوع

نهنهته فازداد تحنانا   وعربد في الضلوع

لا يطمئن به الوساد   ولا يقر له ولوع

كانت تسليه الدموع   فصار يهزأ بالدموع

لكأنه ـ والريح في اعقابه ـ طير هلوع

ولت ليالي الانس   وانطفأت بهيكله الشموع

وذوت امانيه فما   في روضه نشر يضوع

شيعت شمس رجائه   ومضيت ابحث عن يشوع

يا قلب لا تجزع فلم   يظفر بحاجته جزوع

ان الخنوع لكالردى   فحذار عاقبة الخنوع

الصبر اجدى في البلاء   فربما أمن المروع

هل يملك المحروم الا   ان يكد وان يجوع

ما كان اخسر صفقتي   لما نزحت عن الربوع

اغراني الفجر الكذوب   وغرني البرق الخدوع

قالوا الطموح هو الرجولة   قلت ما احلى القنوع

لولا سراب المجد لم   تسلخ عن الاصل الفروع

مالي الى هذي السفاسف   والزخارف من نزوع

حسبي رضى غلواء   حسبي طيفها وقت الهجوع

اني اكتفيت من الخضم   بحسوة الطير القنوع

من ليس يرضيه النزول   فليس يرضيه الطلوع

يا عائدين الى الحمى   قلبي به عطش وجوع

لا تعذلوه فليس ترويه   الضروع ولا الزروع

بالله هل في الركب   متسع للهوف ولوع

حزمت امتعتي فيا   قلب ارتقب يوم الرجوع

بوانس ايرس ـ الارجنتين   زكي قنصل

الطاعة وقلت لي ما معناه انني ما زلت طفلة لا افهم من الحياة شيئا ، ولهذا يجب ان تسيطر علي، وان استأذنك بكل شيء . بالهواء الذي استنشقه .. بالابتسامة التي ابتسمها ، بالثوب الذي ارتديه ، بالحلم الذي احلم به . وحاولت ان اكسر قيد حبك ، ولكنه كان اقوى مني . فأرتد الى نفسي وابكي بحرقة شخصيتي .. حريتي .. كياني ، لقد سلبتهم جميعا باسم الرباط المقدس . علي ان لا اناقشك في امر وان اقبل ما تفرضه علي دون جدال ، وان انفذ اوامرك دون اعتراض . وكلما ثرت كانت ثورتي تتلاشى كما تتلاشى الموجة وتتكسر على الشاطىء الصلب .

لقد كرهت ربيع عمري، وتمنيت لو تجاوزته وقفزت الى الخريف . فغز المشيب مفرقي . فلعلك تنظر الي نظرتك ، الى الشريك او الى الند .

وبعد كل ما اطلبه منك يا حبيب عمري . هو ان تؤمن ان للسيطرة حدودا يجب ان لا تتجاوزها ، وان الحب لا يعني بحال من الاحوال الاستعباد والاستبداد ، انني شريكة حياتك وندا لك . لي نفس حقوقك . فدع لي شيئا من الحرية التي تذكرني بانسانيتي .. بكرامتي .. بشخصيتي .. بوجودي . ولا تضيق الخناق على حبنا ، فأنا اخشى عليه الاختناق والموت . ولا تمنع الشمس والماء والهواء عن زهرة حبنا .

ترى هل تستجيب لندائي . ام انك تبتسم بسخرية وتهكم وتقول : انها مجرد عبث طفلة ؟

المخلصة : سوسن

دمشق   سلمى لحام العطري



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

***

هــذا مدنــي

ويقولون : هذا الرجل مدني (بفتح ففتـــح) ، وذاك قروي (بفتح ففتح) . والصواب : هذا مديني (بفتح فكسر) ، لانه لا يجوز ان يقال : مدني (بفتح ففتح) ، الا للرجل ، او الثوب اذا نسبا الــى المدينة المنورة وحدها .

اما الطير ونحوه ، اذا جاءا من المدينة المنورة ، وكل من ينتسب، وما ينتسب الى اية مدينة اخرى ، فالنسبة : مديني (بفتح فكسر). حتى المراة التي تنتسب الى المدينة المنورة ، يقال : انها : مدينيــة (بفتح فكسر) .

اما جمع مدينة فهو: مدن (بضم فضم) ، ومدن (بضم فسكون)، ومدائن (بفتح الميم) .

والنسبة الى مدائن كسرى هي : مدائني .

مــذ اليــوم

ويقولون : لم أره مذ (بضم فكسر) اليوم الاول مــن هذا الشهر . والصواب : لم أره مـذ (بضم فضم) اليــوم الاول ... ، لان ذال (مذ) الساكنة لا تكسر عند التقائها بلام (اليوم) الساكنة ، كما تنص القاعدة عندما يلتقي ساكنان . وهــذا يرجع ان اصل (مذ) هــو (منذ) ، التي حذفت منها النون تخفيفا ، كمــا يقــول الخضري . وبعضهم يضم ذال (مذ) بلا ساكن اصلا .

وجاء في الهمع : ان كسر ميم (مذ ومنذ) لغــة . ولا استحسن كسر الميم فيهما لبعدها عن المألوف .

الامــرأة

وانكر شراح الفصيح على من يقول : ان هذه الامرأة كريمة ، وهــذا الامرؤ كريم . وقالوا : ان الصواب هو : امرأة كريمة ، وامرؤ كريم ، دون ان ندخل عليهما اداة التعريف للتخفيف . واجازوا ادخــال (ال) التعريف على مرأة ومرء فقط .

ولكن الامام النحوي الكبير أبا علي الفارسي حكــى قول بعض العرب : الامرأة (بالالف واللام) . ومــا علينا الا ان نجيز تحليــة (امرأة) ب (أل) التعريف ، ما دام علامة كبير كالفارسي حكى ذلك ، رغم انني أرى ان لفظ (المرأة) اخف على السمع من (الامرأة) .

و (مرأة) هي مؤنث (مرء) بفتح الميم فيهما . وضم الميم فــي (مرء) لغة . اما مثنى مرء فهو مرآن ، وجمعه : رجال . ويجيزون ان نقول : (١) هذا امرأ ، ورأيت امرأ ، ومررت بامرأ (بفتح راء امرىء فيهــا) .

٢ ـ هذا امرؤ ، ورأيت امــرؤا ، ومررت بامــرؤ (بضم راء ـ امرؤ ـ فيها) .

٣ ـ هذا امرؤ (بضم الراء) ، ورأيت امرأ (بفتــح الراء) ، ومررت بامرىء (بكسر الراء) .

اما تصغير (مرء) فهو : مريء (بضم ففتح فسكون) ، وتصغير مرأة : مريئة (بضم ففتح فسكون) .

ويجيزون ان يكون مؤنث مرء : مرة (بفتح ففتح وبترك الهمزة). وقالت امرأة من العرب : انا امرؤ لا اخبــر السر . وقــال الكسائي : سمعت امرأة من فصحاء العرب تقول : انــا امرؤ اريــد الخير .

وتجمع المرأة على نساء ونسوة (من غير لفظها) . اما النسبة الى امرىء فهي مرئي (بفتح ففتح) ، والنسبة الى امرىء القيس هــي : امرئي (بكسر الراء والهمزة) ، كما يرى الصحاح .

وربما سموا الذئب امرأ ، وذكر يونس ان قول الشاعر :

وانت امرؤ تعدو على كل غــرة   فتخطىء فيها مــرة وتصيب

يعني به الذئب .

مــراكش

ويقولون : سافر الى مراكش (بفتح الميم وتضعيف الراء وكسر الكاف) او مراكش (بضم الميم وتضعيف الراء وكسر الكاف) ، وهم يقصدون بذلك المملكة المغربية ، التي عاصمتها الرباط ، والتي يطلقون عليهــا اسم (رباط الفتح) . والصواب ان نقول : سافر الى مراكش (بفتح الميم وتضعيف الراء وضم الكاف) .

أمسى المســاء

ويقولون : أمسى المساء . والصواب : حل المساء ، لان معنى الفعل (أمسى) : دخل في المساء . وليس من المعقول ان يدخل المساء فــي المساء .

المصران الاعــور

ويقولون : التهب مصرانه (بضم فسكون) الاعــور ، أي : زائدتــه الدودية . والصواب : التهب مصيره الاعور ، لان المصير (بفتح فكسر) هو المعى (بكسر ففتح) ، وجمعه : مصران (بضم فسكون) ، وأمصرة (بفتح فسكون فكسر) . اما مصارين فهي : جمع الجمع .

امضى ايامه في الدراسة

ويقولون : امضى فلان ايامه في دراسة متواصلة . والصواب : سلخ

فلان أيامه في دراسة متواصلة .

اما الفعل (أمضى) فمن معانيه :

١ ــ أمضى الامر امضاء : أنفذه . يقال : امضى الحاكم حكمه.

٢ ــ امضى البيع : اجازه ، ومنه اخذت العامة الامضاء لتوقيع الصك .

٣ ــ امضاه الى فلسطين : أرسله اليها .

٤ ــ أمضيت له : تركته في قليل الخطأ ، حتى يبلغ به اقصاه ، فيعاقب في موضع لا يكون لصاحب الخطأ فيه عذر .

معهد الموسيقا الغربي

ويقولون : معهد الموسيقا الغربي . والصواب : معهد الموسيقا الغربية، لان كلمة (الغربي) هنا هي وصف للموسيقا ، وهي مؤنثة ، وليست وصفا للمعهد (المذكر) .

الملاريا

ويقولون : أصيب فلان بالملاريا ، أي : أصيب بالحمى مع البرد المصحوب بقشعريرة (بضم ففتح فسكون) ، أي : رعدة . والصواب: أصيب فلان بالبرداء (بضم ففتح) .

استملك

ويقولون : استملك فلان ارضا . والصواب : امتلك ارضا ، أو ملكها (بفتح ففتح) ، او تملكها (بفتح ففتح فتضعيف) .

نموذجات من حرف النون

نتج عنه كذا

ويقولون : نتج عنه كذا . والصواب : نتج منه كذا ، وهو من المجاز، لان معنى : نتج الشيء (بضم الهمزة) من الشيء = خرج منه ونشأ . ومنه : نتجت البهيمة نتاجا (بفتح النون) : أي وضعت ولدا . وهذا الولد قد نتج منها .

ذو نفس نتن

ويقولون : فلان ذو نفس (بفتح الفاء) نتن (بفتح فسكون) . والصواب : هو ذو نفس نتن (بفتح فكسر) ، جمعه : نتنى (بفتح فسكون ففتح) . أو : ذو نفس منتن (بضم فسكون فكسر) ، او منتن (بكسر فسكون فكسر) ، او منتن (بضم فسكون فضم) . وزاد تاج العروس ولسان العرب على الصفات المشبهة من الفعل (انتن) الصفة المشبهة متنين (بكسر فسكون فكسر) ، وجمع الصفات الاربع الاخيرة مناتين (بفتح الميم) . وهنالك صفة سادسة هي نتين ، وجمعها : نتناء (بضم ففتح) .

اما قول الشاعر :

والريح آخذة مما تمر به نتنا من النتن او طيبا من الطيب

(بتسكين التاء في نتن) فضرورة شعرية ، لا يلجأ الى مثلها الشعراء الفحول . فتن (بفتح فسكون) ليست صفة ، بل هي مصدر الفعل نتن (بفتح ففتح) ، والنتانة هي مصدر الفعل نتن (بفتح فضم) .

أنجب الوالدان أولادا

ويقولون : أنجب الوالدان اولادا . والصواب : انجب الوالدان ، أي: ولدا أولادا نجباء . أو : انجبا بأولاد .

اما اذا كان الاولاد نجباء ، فاننا نقول : انجب الاولاد (بضم الدال) . والفعل (انجب) فعل لازم .

وانجبت المرأة ، فهي منجبة (بضم فسكون فكسر) ، ومنجاب (بكسر فسكون) : ولدت النجباء . والنسوة : مناجيب .

ويقول ابن الاعرابي : أنجب الرجل = جاء بولد نجيب ، او جاء بولد جبان . فمن جعله مدحا ، أخذه من الفعل : نجب (بفتح فضم) ينجب (بضم الجيم) نجابة ، اذا كان فاضلا كريما حسيبا نفيسا في نوعه . ومن جعله ذما ، أخذه من النجب (بفتح ففتح) ، وهو قشر الشجر .

انجاص

ويطلق سكان سورية ولبنان اسم الانجاص على شجر الفاكهة المسمى بالفرنسية Poirier ، وبالانكليزية Pear-tree . والاسم الصحيح للشجر المذكور وثمره هو الاسم المستعمل في الجمهورية العربية المتحدة ، أي : الكمثرى (بضم فتضعيف مفتوح فسكون ففتح) .

اما كلمة اجاص (بكسر فتضعيف) التي يطلقونها في بلاد الشام على الكمثرى خطأ ، فهي الشجر المسمى باسم البرقوق (بضم فسكون) في الجمهورية العربية المتحدة .

النوادي

ويجمعون النادي على نواد . والصواب : اندية . وجمع الجمع : انديات . ويجمع اللسان النادي على أندية وأنداء .

والنادي هو المجلس والقوم المجتمعون فيه . ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله . ويطلق النادي على اهل المجلس مجازا .

ومن معاني النادي : الشخص او الشبح .

اما قوله تعالى في الآية ١٧ من سورة العلق : « فليدع (بفتح فسكون ففتح فسكون فضم) ناديه » . فمعناه : فليدع عشيرته ، وهم اهل النادي ، والنادي مكانه ومجلسه ، فسماه به (مجاز مرسل علاقته المحلية) .

والندي (بفتح فكسر فتضعيف) ، والندوة (بفتح فسكون) ، والمندى (بضم فسكون ففتح ففتح) تعني (النادي) ايضا .

ولكن المعجم الوسيط يجمع النادي على اندية ونواد ، وبذلك ساير معظم العامة في البلاد العربية ، الذين يجمعون النادي على نواد .

ويجيز الغلاييني ان نجمع الاندية على نواد ، ويقول انه مطابق للقياس ، كما قالوا : « جامع وجوامع ، وطابق وطوابق ، وسالف وسوالف ، وسابق وسوابق » .

ثم ويستشهد بقول صاحب القاموس في اوائل خطبة كتابه : (محمد خير من حضر النوادي) .

ويقول عباس حسن في الجزء الرابع من « النحو الوافي » : « والحق ان صيغة (فاعل) تجمع قياسا على (فواعل) ، سواء أكانت صيغة (فاعل) صفة للمذكر العاقل ام غير العاقل . ولكنها ان كانت وصفا لمذكر غير عاقل كانت اقوى » .

اما النوادي ، فمن معانيها :

١ ــ الحوادث .

٢ ــ الاشياء المبتلة .

٣ ــ النون المتفرقة في النواحي ، او الشاردة .

٤ ــ النواحي .

٥ ــ نوادي الكلام : ما يتفوه به الانسان وقتا بعد آخر .

٦ ــ نوادي النوى (جمع نواة) : ما تطاير منها عند كسرها .

اما مفرد النوادي فهو : النادية . وقد تجمع النادية على ناديات .

صيدا ــ لبنان **محمد العدناني**

رحلة الى صعيد مصر

بقلم اسكندر داود

* * *

الانسان بطبيعته محب للاطلاع ، ميال الى الرحلة والسفر ، وقد جاءت وسائل النقل الحديثة فطوت الابعاد ،واختصرت الزمن ، ويسرت للناس اسباب التجوال والتنقل في انحاء الارض . ولذا كثرت في ايامنا هذه الرحات الجماعية التي تنظمها شركات السياحة لزيارة الاقطار المختلفة . وكنا جماعة من الناس ذهبنا في واحدة من هذه الرحلات الى صعيد مصر . وفيما يلي بعض ما رأيناه في تلك البلاد .

بدأنا رحلتنا في مدينة الاقصر ، وتقع على ضفة النيل الشرقية ، وتقوم على انقاض القسم الجنوبي من مدينة طيبة القديمة . وكانت طيبة العاصمة السياسية والدينية لمصر منذ قيام الاسرة الثامنة عشرة حتى الرابعة والعشرين ، اي خلال حقبة امتدت اكثر من خمسماية عام وكان لمصر فيها من رفعة الشأن ، وامتداد رقعة السلطان، ما جعلها قبلة انظار العالم القديم . كانت في ذلك الحين امبراطورية مترامية الاطراف ، امتدت شمالا الى نهر الفرات ، وجنوبا الى اقاصي بلاد النوبة . وكان حكام البلاد المجاورة يتسابقون لتقديم الولاء والجزية للجالس على عرش طيبة . واحرزت تلك العاصمة شهرة بعيدة ، فأشاد بذكرها الكتاب والرحالون ، وذهب الخيال بعيدا بهوميروس حين ذكرها فقال : « طيبة ذات المائة باب ، وكل منها يتسع لمرور مائتي رجل مع خيولهم ومركباتهم في آن واحد ، وفيها تنصب جميع ثروات مصر ، وبيوتها تزخر بالكنوز » .

وادي الملوك

بدأنا رحلتنا في الاقصر بزيارة وادي الملوك ، وهي المنطقة التي اشتهرت بهذا الاسم ، والتي تحوي مدافن عدد كبير من الملوك الذين تعاقبوا على عرش طيبة . وتقع على ضفة النيل الغربية ، في سفح السلسلة الجبلية المقابلة لها . فاذا اجتاز المسافر المنطقة الزراعية المحاذية لمجرى النهر الفى نفسه يسير وسط برية جرداء ، ويبلغ اخيرا بقعة تكثر فيها التلال والوهاد ، وفيها مدافن اولئك الملوك . وهنالك منطقة اخرى بعيدة عن الاولى خصصت لمدافن الملكات ، وثالثة لمدافن النبلاء .

وكان المدفن يحفر عميقا في الجبل ، ويصار اليه بواسطة سرداب طويل منحدر ، يسير في خط مستقيم ، ويكون متعرجا احيانا . وكانوا بعد الدفن يعنون بردم السرداب وازالة كل اثر يدل عليه . ويتألف المدفن من بضع حجرات متصلة ، ليس بينها جدار ، تخصص واحدة لمومياء المتوفي ، وتوضع حوله وفي الحجرات الاخرى بعض مقتنياته من جواهر وحلي ، والبسة واسلحة ، وترسم على جدرانها مشاهد مختلفة من سيرته ، كتعبده للالهة ، وترؤسه للحفلات الدينية بوصفه رئيس الكهنة الاعظم ، ومنها حروبه وانتصاراته ، واسفاره ورحلات الصيد التي كان يخرج اليها . وتروي رسوم أخرى مآثر الراحل كاهتمامه بحفر الاقنية ، وايصال مياه الري الى الاراضي الزراعية . وفي غيرها يرى محاطا برجال دولته حينا ، وبعبيده او عمال مزارعه حينا آخر . والى ذلك مناظر مستقاة من الحياة اليومية ، كالمآدب وحفلات الموسيقى والرقص ، وما يصاحب هذا كله من بذخ ومن وسائل توفير السرور لهؤلاء الحكام . وبعضها كان يمثل الفرعون وهو يتقبل الهدايا من بعض رعاياه ، او من موفدي الحكومات الاجنبية .

وكانوا يرمون من وراء هذا كله الى ابعاد الوحشة عن المتوفي ، وتسهيل عودة الروح الى جسده كما كانوا يعتقدون . والى ذلك فان قدماء المصريين كانوا يرون ان الحياة الاخرى ليست الا امتدادا افضل لحياة الانسان على هذه الارض . ولهذا كانوا يعنون بان يوفروا للراحل كل ما هو في حاجة اليه من متاع ومن اسباب الراحة والطمأنينة . ومن هنا هذه الرسوم الملونة الجميلة التي كانوا يزينون بها مدافنهم ، والتي تتسم دوما بطابع البهجة والمرح . وهي سجل حي امين يجد فيه المؤرخون مصدرا ثريا لدراساتهم وابحاثهم .

واهم مدافن وادي الملوك قبر توت عنخ امون ، وسيتي الاول ، ورمسيس الثاني . ويمتاز قبر سيتي الاول عليها جميعا باتساعه وحسن هندسته وجمال نقوشه. اما قبر توت عنخ آمون فقد كان لاكتشافه دوي بعيد المدى في جميع انحاء العالم ، وما زالت اصداؤه تتردد حتى اليوم . ومع ذلك فهو اصغرها جميعا . وان الناظر اليوم يعجب كيف اتسعت هذه المساحة الضيقة للاثاث الكثير الفخم الذي وجد فيها ، ومنه العربة الملكية والتوابيت الاربعة المتداخلة المطلية بالذهب ، والتي كانت تحيط بالمومياء ، وتمثاله الخشبي بالحجم الطبيعي ، الى جانب عشرات من التحف الاخرى . ولكن العجب يزول اذا علمنا ان هذا الملك توفي ولم يكن قد تجاوز العشرين من سنيه ، فهو لم يكن قد اعد لنفسه مدفنا ملائما ، على عادة ملوك مصر وعظمائها في تلك الايام . ولذلك اضطروا الى حشر ذلك الاثاث وتكديسه كله في تلك البقعة الصغيرة .

وعلى الرغم مما اتخذوا من حيطة وحذر لم تسلم مقابرهم من سطو اللصوص . وسرقات المدافن بدأت منذ عهد بعيد ، وازدادت في عهد الرعامسة . ومع ذلك فلا تزال هنالك مدافن لا حصر لها مخبوءة في باطن الارض ،

تزخر بالكنوز ، والتحف ، لم يعرف مكانها اللصوص ، ولا اهتدى اليها الباحثون .

معبد الدير البحري

وسرنا بعد ذلك الى بقعة جبلية تعرف عندهم بالدير البحري وفيها معبد من اشهر معابد مصر القديمة ، هو معبد الملكة حاتشبسوت ، لفظة تثقل على الاذن العربية ، ولكنها اسم ملكة من اعظم الشخصيات التي حكمت مصر. كانت امراة طموحة ، اغتصبت الملك من ابن اخيها الصغير الجالس على العرش ، وحكمت مصر بحزم ودهاء مدة ثمانية عشر عاما . كانت ترتدي زي الرجال ، وتستعمل ضمير المذكر في النصوص ، ايهاما للناس ان التقاليد محترمة ومصونة ، ولم يطرأ عليها تغيير بوجود امراة على العرش .

وقد اختارت لبناء معبدها مكانا مرتفعا يقع في لحف ذروة شاهقة من الحجر الرملي الاحمر ، تقف وراءه كالجدار . فهو من هذه الجهة كثير الشبه بموقع بلدة معلولا المعروفة في سورية ، والتي هي الى الشمال الشرقي من دمشق .

ويصار الى المعبد في طريق صاعدة ، ويقوم على اليمين والشمال صفان طويلان من الاعمدة الرشيقة المتراصة ، ووراءها ابهاء المعبد ومقاصيره الكثيرة ، المزدانة بالنقوش والرسوم والتماثيل . ويعلو هذا الطابق الاول سطح تقوم في وسطه طريق صاعدة اخرى ، والى جانبيها كذلك صفان من الاعمدة ، يعلوهما سطح ثان يتصل بالجبل ، وينتهي بعدد من الاقواس . ولهذا يطلق علماء الآثار على هذا البناء اسم « المعبد ذي السطوح » .

وادعت هذه الملكة ، دعما لسلطانها وهيبتها ، انها ليست من صلب والدها ، وانما هي ابنة الآله آمون الذي اختار والدتها لتكون اما لابنة تحكم مصر . ولم تكن حاتشبسوت اول من ادعى بهذا النسب ، بل سبقها اليه الكثيرون من فراعنة مصر . وقد رسمت على جدران معبدها قصة تلك « الولادة العجائبية » ، فنرى الآله آمون والامراة المعدة لان تحمل منه وقد جلسا على الارض ، وامسك كل منهما بيد الاخر ، واخذا يتبادلان عبارات الحب والولاء ، وقد نقشت على الجدران المحيطة بهما . وفيها الكثير من معاني الاناشيد ، كتذكير المخلوف بنعم الاله عليه ، ولزوم تفانيه في محبة الآله وطاعته . وفي زاوية قريبة نرى ربات الولادة في ترقب ، حتى اذا حانت الساعة جاءت احداهن واخذت بيد الوالدة الى الحجرة المعدة لاستقبال المولود الجديد ، والذي كتب له ان يكون ملكا على مصر .

وفي ردهة اخرى نجد رسوما متقنة تمثل الرحلة البحرية التي اوفدتها الملكة الى بلاد بونت الواقعة عند مضيق باب المندب ، والمعروفة اليوم باسم الصومال . سارت الرحلة في البحر الاحمر ، وقد اوكل اليها جلب الحجارة الكريمة ، والاخشاب الثمينة ، والبخور ، وانواع من الاشجار التي تعيش هنالك . وقد ابدع المصورون في رسم مناظر طريفة لسكان تلك البلاد ، وملابسهم ، وقراهم المبنية على ضفاف الانهار ، واشجار البخور التي تعيش عندهم .

وعندما انتهت زيارتنا لهذا المعبد ، وهممنا بمغادرته ، صاح بنا الدليل : « الفت نظركم ايها السادة الى ذاك الجدار الذي مر عليه اكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وقد احتفظ برسومه والوانه » . ونظرنا فاذا حائط في الطرف الجنوبي من المعبد ، سقط سقفه منذ ازمان ، اما رسومه فما زالت على كثير من نضرتها ، برغم تعرضها لشمس الصعيد وللعوامل الاخرى ، طيلة هذه السنين . قلنا : وهذا دليل آخر على حذق المثال المصري ، وفهمه العميق لاسرار الاصباغ والالوان .

ان هذا المعبد بموقعه في حضن ذلك الجبل الاشم وانفراده في تلك البرية الواسعة التي يلفها الصمت ، وصفوف اعمدته الطويلة فوق سطوحه المتدرجة ، يترك في نفس القادم اليه اعمق الاثر . وقد وصفه احد الاثريين الانكليز فقال انه « واحد من الابنية الاكثر دراماتيكية في العالم » .

معابد الكرنك

ان اعظم آثار مدينة الاقصر وابعدها شهرة ، الهياكل المعروفة باسم معابد الكرنك ، وكانت تقع قديما في الضاحية الشمالية لمدينة طيبة ، وتؤلف اعظم مجموعة من معابد مصر القديمة ، تعاقب على بنائها الكثيرون من ملوك طيبة. وتمتاز هذه المجموعة بمداخلها الفخمة ،وردهاتها الفسيحة، واعمدتها المنيفة ، والمسلات المنبثقة في كثير من ارجائها. وتزدان جدرانهاواعمدتها وسقوفها بنقوش جميلةوزخارف متقنة . والملوك الذين تتابعوا على الحكم كان يعنى كل منهم بتدوين الاحداث الهامة التي كانت تقع في ايامه ، فهي كتاب مفتوح يقص علينا الكثير من انباء تلك الازمان .

واعظم ما في معابد الكرنك بهو الاعمدة الكبير الذي تبلغ مساحته اكثر من خمسة الاف متر مربع ، وترتفع فيه صفوف متوازية من الاعمدة ، يبلغ عددها مائة واربعة وثلاثين ، فيخيل للناظر انه داخل غابة ملتفة من الاعمدة ، يدهش لضخامتها وكثرتها .

ويقوم على جانبي المر الرئيسي لهذا البهو الكبير صفان من الاعمدة الجبارة « يرتد عنها الطرف وهو كليل »، اذ يبلغ ارتفاعها نحو اربعة وعشرين مترا . وان هذا المنظر المهيب ، الذي يجاوز جميع الاقيسة المألوفة ، ويجمع بين العظم والرشاقة وجلال القدم ، يغمر النفس بخشوعٍعميق الى جانب ما يثيره فيها من شعور بالجمال .

وتدل التواريخ المنقوشة على مداخل المعابد وعلى

جدرانها ان رمسيس الاول كان البادىء في بناء الاعمدة الكبيرة هذا ، وجاء بعده ابنه سيتي الاول فوجه اعظم عناية الى اكماله وزخرفته ، ثم جاء حفيده رمسيس الثاني فاضاف اليه بعض التحسينات ، وامر بان ينقش على مدخله الرئيسي : « ان جمال هذا الهيكل يصل الى اعالي السماوات » .

وتمتلىء جدران الكرنك واعمدته باخبار الحروب التي خاضها هذا الفرعون او ذاك ، وترينا الجنود باسلحتهم ومركباتهم . واحد هذه النقوش يمثل سيتي الاول في موكب النصر ، ورؤساء الجيوش التي هزمها يمرون من امامه ، وقد اوثقت سواعدهم بالحبال ، وهو ينظر اليهم بازدراء .

ويطلق علماء الآثار اسم « الحديقة النباتية » على احدى ردهات الكرنك ، وقد رسمت على جدرانها انواع كثيرة من نباتات البلاد السورية وحيواناتها . ذلك ان تحوتمس الثالث ، في احدى حملاته على سورية ، امر رجاله بان يعنوا بدراسة احياء تلك البلاد ، وان يختاروا منها ما يصلح لادخاله الى مصر ، ويقول الدكتور احمد فخري في كتابه « مصر الفرعونية » انه « كان ضمن ما ادخلوه الى مصر اذ ذاك الدجاج والرمان » .

ان الشعور الديني العميق ، والمهابة التي كانت تحيط بالعرش والجالس عليه ، وعبقرية الفنان المصري القديم ، وصبر العامل وجلده ، اجتمعت كلها فجاءتنا بتلك المعجزات التي يصاب انسان اليوم امامها بالذهول ، برغم ما في زماننا هذا من خوارق ومنجزات .

مسجد اسلامي في معبد آمون

وفي الاقصر مجموعة اخرى من الهياكل تعرف بمعبد آمون تسير موازية لمجرى النيل ، وعلى مسافة غير بعيدة منه ، وفيها الردهات الفسيحة ، والاعمدة المضلعة والمثمنة . واعظم هذه الهياكل بناه رمسيس الثاني ، ويمتاز بجمال نقوشه ، وتناسق ابهائه ومقاصيره .

وكانت تقف امام مدخله الفخم مسلتان عظيمتان ، بقيت احداهما حيث هي ، وقد نقشت عليها القاب هذا الفرعون ومنها : « سيد طيبة ، حبيب الآلهة ، باني معابد الاقصر لتمجيد ابيه آمون الذي وضعه على عرش مصر ، ملك مصر العليا والسفلى » . اما الثانية فهي اليوم في ساحة الكونكورد في باريس، وكان اهداها محمد علي باشا حاكم مصر ، الى لويس فيليب ، ملك فرنسا اذ ذاك .
جئت مرة الساحة المطلة على معبد آمون من الجهة الشرقية فرأيت مسجدا ومئذنة فوق احد سطوحه ، يحيط بهما جداران متقابلان من جدرانه . فاسرعت الخطى ، كأن كنزا ينتظرني هناك ، واذا بي امام درج حجري متقن الصنع ارتقيته وعددت درجاته فكانت تسعا وعشرين ، تنتهي عند سطح يقوم عليه المسجد المعروف باسم مسجد « ابو الحجاج » ، وهو بناء حجري تعلوه قبة حسنة الشكل ، وله منبر خشبي لطيف ، وقد فرشت ارضه بطنافس حمراء ، ويتسع لنحو مابة وخمسين من المصلين . وسألت بعض من كانوا هنالك فقالوا ان رجلا من مدينة الموصل ، ومن اهل التقى والصلاح ، نزل الاقصر منذ سبعماية وخمسين عاما ، واختار لبناء مسجده هذا السطح المرتفع في معبد آمون . ثم جدد بناؤه منذ خمسين عاما . وهو ومئذنته مطليان بلون ضارب الى الصفرة . وهنالك حجرة ملاصقة للمسجد كتب فوق بابها : « مقام سيدي ابي الحجاج » ، وقد جعلت مدفنا له ولاثنين من اولاده .

لقد طربت حقا لهذا اللقاء الفريد بين معبد آمون الفرعوني ، ومسجد ابو الحجاج الاسلامي ، وراقتني جدا هذه الرفقة الحلوة بين الاثنين ، في رحلتهما الطويلة عبر الزمان .

وفي المساء ارتفع صوت المؤذن يدعو الناس الى الصلاة ، وكنت اصغي الى هذا الصوت المصري العذب وكأني اسمع معه اصواتا كثيرة اخرى ، آتية من اعماق الدهور ، وكلها تمجيد للقدرة الالهية المسيرة لهذا الكون، والتماس لمرضاتها وجدواها .
وفي هذا الجو الحافل برؤى الماضي البعيد وذكرياته انتهت زيارتنا لمدينة الاقصر التاريخية ، واخذنا نعد العدة لزيارة اسوان .

اسوان والسد العالي

وفي صباح اليوم التالي كنا في طريقنا بالقطار الى اسوان ، وكانت بعض مدن الصعيد وقراه ، وقد نثرت على ضفاف النيل الهادىء ، تطل علينا تضاحكنا ، ثم تعود فتختفي عنا وراء اشجار النخيل ، ومن تلك المدن ، اسنا ، وادفو ، وكوم امبو ، ولها صيت ذائع في عالم الآثار ، ومن المواقع الاقتصادية الهامة في مصر الحديثة .

وكنا نشاهد في مسيرتنا جميع وسائل النقل التي استخدمها الانسان منذ نشأته على هذه الارض ، ومنها الحمير الصعيدية المشهورة ، والجمال ، والمركبات على اختلاف انواعها ، الى جانب القطارات والسيارات ، ونرى على صفحة النيل القوارب الشراعية ، والزوارق البخارية والسفن النيلية المعدة لنقل المسافرين والسياح من القاهرة الى مدن الصعيد فالسودان .

وتقع مدينة اسوان على الضفة الشرقية من النيل ، وهي مركز المحافظة المعروفة بهذا الاسم . واذا اشرف الانسان عليها من موقع مرتفع يرى النيل وقد انحنى عندها بشكل نصف دائرة تلتف المدينة حولها . والى الجنوب الشرقي سلسلة من تلال وردية اللون ، يقابلها على الضفة الغربية ، سلسلة اخرى من حجر رملي ضارب الى الصفرة . وترى على صفحة النيل خمس عشرة جزيرة بين كبيرة وصغيرة تغطي اكثرها الحقول والابنية . وهناك المراكب

باشرعتها البيضاء والملونة تروح وتجيء بين ضفتي النهر وتلك الجزر ، والشمس تغمر باشراقتها اللطيفة المجموعة كلها . وهنا ينسى المرء انه في اسوان ، ويخيل اليه انه انتقل فجأة الى بقعة خيالية ، لجمال المشهد وطرافته وتنوعه .

ومن تلك الجزر واحدة اختارتها احدى الشركات السياحية واقامت عليها فندقا حديثا احاطته بحدائق غناء ، وهو آمن ملجأ للهاربين من صخب المدن ، وضجيج السيارات .

ومنها الجزيرة المعروفة بجزيرة كتشنر ، هكذا يسمونها هنالك ، وكان هذا القائد البريطاني قد اختارها في احدى رحلاته لتكون حديقة نباتية تجمع الكثير من نباتات المنطقة الاستوائية واشجارها . زرناها فوجدناها حسنة التنسيق ، وقيل لنا انها تضم نحو ثمانماية نوع من تلك النباتات ، استورد بعضها من اماكن قصية كأندونيسيا وهي اليوم تابعة لوزارة الزراعة المصرية .

ويؤم اسوان في فصل الشتاء الكثيرون من طالبي الراحة والصحة لينعموا بدفء الشمس ، وصفاء الجو ، واعتدال المناخ . وكان ممن نزلوها في اوائل الخمسينات زعيم الطائفة الاسماعيلية المشهور الاغا خان . وكان مصابا بداء المفاصل فوجد في جوها خير علاج لما كان يشكو منه ، وصار يزورها كل شتاء ، واوصى بان يدفن في ثراها . وتوفي سنة ١٩٥٧ .

وساروا بنا في اسوان الى مقالع الجرانيت ، وهو الحجر الوردي المعروف الذي كانوا يصنعون منه مداخل المعابد ، والمسلات ، واللوحات التذكارية . ورأينا هنالك مسلة كبيرة كانوا قد اتموا نحت جوانبها الثلاثة ، وبقي الرابع وهو الاسفل متصلا بكتلة المقلع . وربما وقع لهم ما الهاهم عن مسلتهم تلك .

ومن اسوان ذهبنا لزيارة السد العالي ، والطريق بينهما تجتاز منطقة بركانية كثيرة التضاريس تغطيها الصخور والحجارة السوداء ، نعود بعدها الى ضفة النيل وما فيها من بهجة واشراق ، ثم يطل علينا السد العالي بكتلته الجبارة المتربعة فوق مجرى النهر . وهو تل عظيم مستدير الشكل ، فاذا بلغنا قمته رأيناها سطحا فسيحا تخترقه الطرق العريضة المتقنة وتعلوه شبكات الكهرباء والمواصلات . وقد صمم السد على ان يتحكم بمياه النهر فيحتجز منها ما يزيد عن حاجة الاستهلاك ، وخاصة مياه الفيضانات ، فيتجمع من هذا الفائض الكتلة المائيةالمعروفة ببحيرة ناصر ، والتي تمتد بين التلال المحيطة بمجرى النهر مسافة خمسماية كيلومتر . ومن هذه البحيرة تشتق الاقنية الكثيرة فتروى المساحات المعدة للافادة من هذا المشروع على الضفتين .

اما مساقط المياه الحاصلة من ارتفاع سطح البحيرة عن مجرى النيل العادي فقد اقيمت عندها عنفات (توربينات) لتوليد طاقة كهربائية تسد حاجات القطر باكمله . وعدد هذه العنفات اثنتا عشرة ، وعند وصولنا الى موقع السد كانت اثنتان منها في حالة العمل ، وكان الماء يندفع منهما تلا عاليا من القطن المندوف ، ثم يعود فينصب في مجرى النهر . وقيل لنا ان كتلة السد العالي تبلغ اربعة وخمسين مليون متر مكعب ، اي انها تعادل سبع عشرة مرة كتلة هرم الجيزة الاكبر . انه مشروع جبار وصف بحق انه واحد من اعظم منجزات القرن العشرين ، وسيبقى اسمه مقترنا باسم مؤسسه العظيم ، الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

وفي فندق اسوان التقينا برجل افرنسي وزوجه ذكرا لنا انهما قدما مع مجموعة من السياح الافرنسيين من مدينة تولوز . جاء هؤلاء السياح اولا الى القاهرة ، ثم اقلتهم باخرة نيلية الى مدن الصعيد فالسودان . الزوج مهندس متقاعد ، والزوجة تعمل مدرسة للتاريخ في بعض المدارس الثانوية . وسألناه : كيف وجدتم وادي النيل ؟ وما كدنا نتم السؤال حتى ارتفعت الايدي ، وابرقت العيون وانهالت عبارات التعجب والمديح : « اوه ما اجمل وما اعجب هذا الذي رأيناه ! ان ما شاهدناه ليفوق كثيرا ما كنا نتوقع » . وكان اعجابهما منصبا بشكل خاص على معابد الكرنك وابو سنبل . وقالت السيدة : « مهما تفننوا في تصوير هذه الآثار ، وتقديمها لنا بشكل جذاب ، ومهما اسهبوا في وصفها ، فنحن لن نفهمها ولن ندرك حقيقتها ، الا اذا جئنا ورأيناها بانفسنا ، وليس الخبر كالعيان » .

ثم اردفت : « اني لاعجب اشد العجب من هؤلاء المصريين ، فقد احرزوا منذ القديم تلك المكانة الرفيعة في علوم الطبيعة والرياضيات والطب والفلك وهندسة البناء ، الى جانب فنون النحت والنقش والتصوير . حقا انه شعب جدير بالاعجاب » .

ودار الحديث حول الرحلة فقالت ... ان من بين رفاق السفر رجلا في السادسة والثمانين من عمره ، وزوجته وهي في الثالثة والثمانين . وكلاهما بصحة جيدة، ولا يدعان شيئا يفوتهما من برنامج الرحلة .

وفي اسوان انتهت رحلتنا الى صعيد مصر ، واخذنا نعود ادراجنا كل الى موطنه ، متمنين لو طالت اقامتنا في وادي النيل الجميل لننعم بجوه اللطيف ، ونرى المزيد من مخلفات قدماء المصريين .

دمشق — **اسكندر داود**

القهوة في البحيرات

قصي سالم علوان

البصرة ـ العراق

انني أرحل مع عينيك الى بحار لا تعرف الساحل
طيرا مذهب الجناحين
في منقاره اغنية بلون الربيع المنتشي
انني أتطلع الى عينيك اللتين بلون القهوة
ولا أرتوي
فانا ظمىء ، يا حبيبتي ، لا اعرف الري
ولا أريد
انني أحب الظمأ لأنه الحياة
وأنا أحب أن أموت
وأنا أتحرق الى قطرة ماء !
وعندما تتعرى عيناي
وتسبحان في عينيك
في بحيرتي القهوة
ترف روحي كزهرة في ندى الصباح
نشوى
الحياة فيها دفق نور بدر
يغسلها .. حتى تستحيل الى نور سائل
ولا شيء غير النور السائل
أي شيء هما عيناك ؟!
انا لا أحفظ من الحكايا الكثير
ولكنني عن عينيك أعرف ألف حكاية ممتعة
ترويها روحي الى روحي وأنا احدق !
احدثك عن القمر ؟
احدثك عن ليلتين بيضاوين
يتوسط كلا منهما في قمر بني
له كل ما للقمر واكثر ؟!
أي شيء هما عيناك ؟!
لي بعض معرفة بالالغاز
ولكني تجاه عينيك
تجاه اللغز الاكبر
اللغز الذي لن استطيع حله
ولن استطيع
فلولا حدثتني انت عن شيء
شيء بسيط عنهما
لولا حدثتني هدب مغن
بعض أغنية ثرة
أعيش معها ألف ليلة .. وألف !
ليته حدثني ...
ليت
وأي سد منيع هذه الحروف الثلاثة !!

الشاعر الايطالي البينو بيرو

في مجموعة من قصائده

Albino Pierro

ترجمة عيسى الناعوري

تعريف : ولد الشاعر الايطالي البينو بيرو عام ١٩١٦ ، ونال شهادته الجامعية في الآداب من جامعة روما عام ١٩٤٤ . وهو يعيش في روما منذ عام ١٩٣٩ ، ويعمل في تدريس التاريخ والفلسفة في المدارس الثانوية .

ظهرت له عدة مجموعات شعرية باللغة الايطالية ، وباللهجة العامية لمسقط رأسه (مقاطعة لوكانيا) في الجنوب الايطالي . ونالت هذه المجموعات شهرة واسعة في ايطاليا ، وترجم بعضها الى الفرنسية وبعض اللغات الغربية الاخرى . وقد اهتم بشعره كثير من كبار الكتاب والشعراء والنقاد الايطاليين .

من مجموعاته الشعرية ، بالايطالية الفصحى وبالعامية ، نذكر :

١ ـ وجدانيات
٢ ـ وجدانيات جديدة
٣ ـ امي كانت عابرة
٤ ـ البلد الصادق
٥ ـ لماذا الموت ؟
٦ ـ العشاق
٧ ـ قريتي
٨ ـ ارض الذكرى

وغيرها . وجدير بالذكر ان المجموعات المكتوبة باللهجة العامية قد ظهرت وازاء كل قصيدة منها ترجمتها بالايطالية الفصيحة .

وفي ما يلي ترجمة لعدد من قصائد الشاعر البينو بيرو ، مأخوذة من عدد من مجموعاته الشعرية :

واحدة فقط

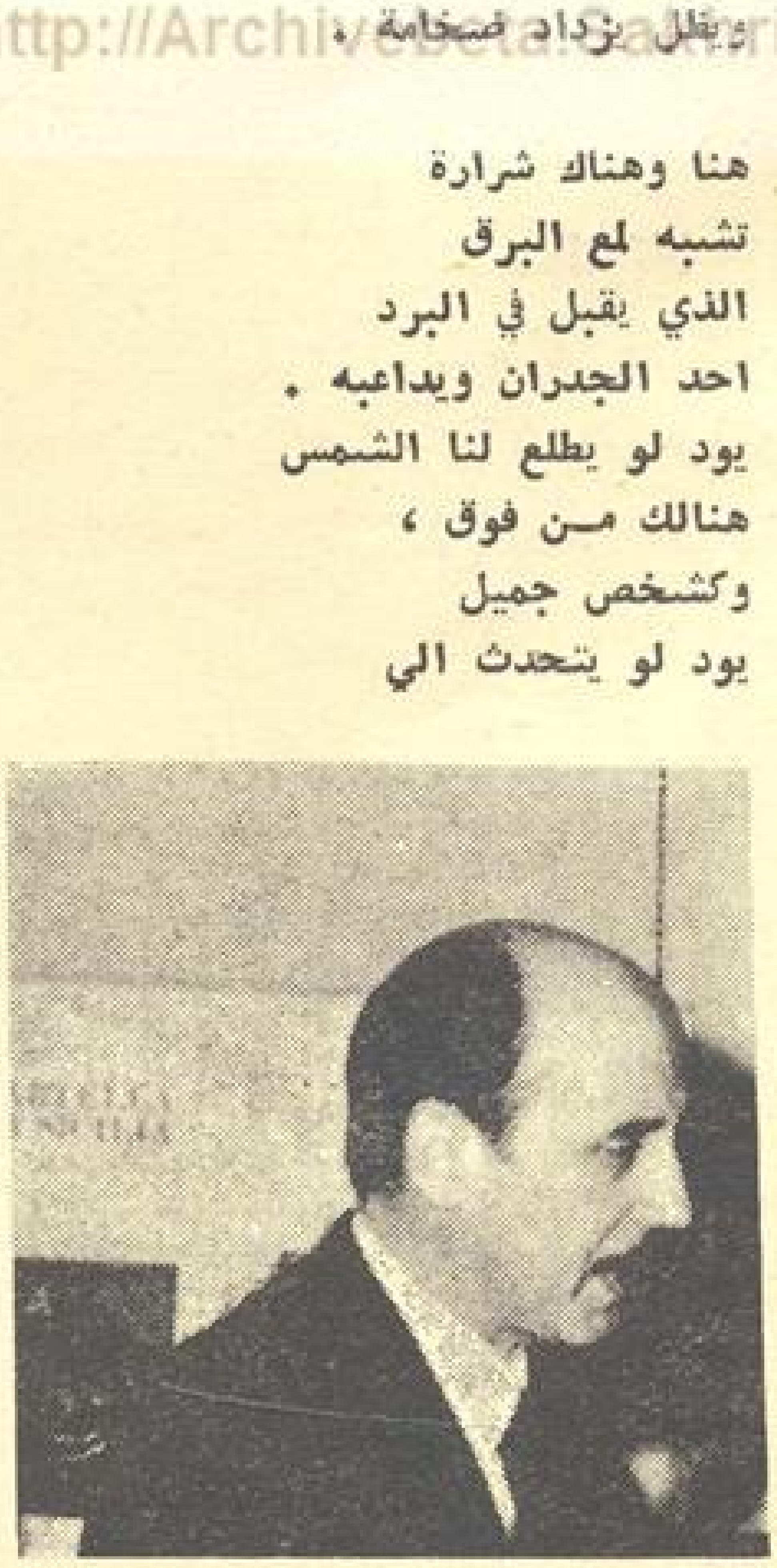
من بين كل هذه الاشياء الصغيرة
التي تمتزج باشياء اخرى كبيرة
شيء واحد فقط أتمناه :
شيء واحد حقيقي لا يموت
ويحتفظ بضياء الفكر .
وكذلك كلمة واحدة
خير من لا شيء :
تستطيع ان تغرس جذورها ،
في أثناء النوم ،
فاذا هي تجد نفسها ،
عند الصباح ،
زهرة جميلة .

وانت قد تجد السرور
في قرنفلة حمراء على الصدر
في لباس آخر ،
حتى لا تعود تبالي بأن تحسب
عدد القفزات ،
بين الكثير من الصراخ
وانغام الارغنات
الداعية الى سهرات الاعراس .

الزمن الذي يمر

هذا الزمن الذي يمر
هو صراخ في الظلام ،
ينمو
ويظل يزداد ضخامة .

هنا وهناك شرارة
تشبه لمع البرق
الذي يقبل في البرد
احد الجدران ويداعبه .
يود لو يطلع لنا الشمس
هنالك من فوق ،
وكشخص جميل
يود لو يتحدث الي



الشاعر البينو بيرو

ولكن الريح تدعوه زلزالا .
وقبل ان تصل الكلمات
الى قلبي
اذا بها قد اصبحت دفينة .

وتنتظر دائما

وتنتظر دائما
داري المسكينة تلك :
في الليل يندبني الظلام
في الحجرات الصامتة ،
وصوت سقوط الماء ،
عندما تمطر الدنيا ،
ومن بعده الريح ، والسهام .

انها جميعا ما تزال ثابتة كما كانت
أشياء ذلك العهد :
لقد رأتني أولد
ثم وقد أصبحت يافعا .
ولكن ما الذي نريده ؟
بعد قليل سأصبح أنا أيضا
شيخا هرما .

آه ! ان بي لخوفا من العودة
بين تلك الجدران الاربعة ،
فقد يصبح فيما بعد
كل منا مرآة للآخر .

أمس

لم تجيئي أمس
وحين كنت انتظر
وفمي يفهق كالمحتضر
كان الموت يمر على جسدي
والبرد يزداد شدة

ثم ، كما في بحر من الثلج ،
أصيبت الدنيا بالبكم
ولم يكن ثمة غير عصفور دوري
ينبسط جناحاه في الاعماق .

اليوم الذي مضى

اليوم الذي مضى
هو رسالة دون عنوان ،
سافرت وليس من يعرف
الى أين .
ولو شئنا ان نعيدها لكي نكتب
كلمة أخرى على الاكثر ،
هي أحلى الكلمات
فسنبقى كابريق الفخار الفارغ
ذي الزعبوبة الجافة

مـن المـاء .
وماذا ترانا ننتظر يا حبيبتي ؟
مـاذا ننتظـر ؟
ولا نمضي قفزا الى الحفر
ما دام النهار لا يزال ملكنا ؟

أننتظر حتى الشيخوخة
التي لا شيء فيها
غير الصلوات ؟

لا تخافـــي

حتى السماء هذا الصباح
انفتحت باكيـة
وهـي تمطـر
ويبدو ان من حولي
أصواتا كئيبة
هي الرعود والبروق
المختلطة بالرياح
المندفعة للشجار .

لا تخافي يا حبيبتي ،
فانـا لا أعرف مطلقا
ما يدعوه الآخرون انتقاما .
كوني متزنة حاذقة
ولا تفكري بـي .
هبيني كنت حجرا ، او سكينا ،
او ميتا يعود
لكي يمتصك بين النجوم .

من الذي صنع لك السحر ؟

كيف لا تلاحظين
ان الزمن يمـر
واننا نتقدم نحو الشيخوخة ؟
من الذي صنع لك السحر
ان كنت لا تتحركين
ثـم تختبئين
وتنظرين كأنك متحجرة ؟
انني أبكي ليلا ونهارا
ولا تحسين بي ،
وساعات طوالا أسير في الدار
ثم ، اذا ما خرجت ،
أجد في كل جهة
دخانا يعميك ، وريحا
تصفر في اعماقك كالقصب .

من كان ذا قلب

من كان ذا قلب
فهو طفل خائف ،
يحلم بشيء ثم يجد لذة
كلذة الفراشة على الزهرة .
في أحسن لحظات فرحه
ينفجر باكيـا بقوة

طقوس الحب

●

أسرت الحب يـــا طفلــه ... بقلــب رف كــالنحلــه
وهــل أمست عيــون الرو ... ض تخشى في الهوى فلـه
مــلأت الــدرب أزهــارا ... لقلــب عاشــق خلــه
وعصفور الهــوى يحكـي ... هوانـــا نقلـــة نقلــه
هنــا كنــا .. وغنينــا ... طقوس الحــب في وهلــه
وغـــاب الصمت في رعش ... وصار الليــل في وهلــه
وراح السحــر منسابــا ... يناغي البــدر في رحلــه
وقلنـــا كــل مـــا قلنـا ... وضعنـــا قبلــة قبلــه

حلــب — احمد دوغان

وفي قلبه اشواك عديدة .
آه ، ايها الموت الخؤون
الذي يطارد الطيبين !
هذا الطفل المسكين
الشريد في الدنيا ،
بدلا من ان يضحك ويغني
يبكي للموت تارة ،
وتـارة يـود
لـو يغرق .

في هــذه الساعة

لو كنت أعرف ان ابصق
كأحد رعـاة الماعز
في هذه الساعة
لكان في وسعك
أن تقول ان العالم
جميل وهو يغرق .

« ولكن ثمة أطفالا مرضى
وشيوخا ليس لهم أحد »
كذلك يصيح بي القمر :
هذا القمر المشغول البال ،
والذي لا يخاف ابدا في الظلام
كوردة في بحر من الاشواك .

الليـــل

لقد جـاء الليل
والميـاه ثابتـة
وكـل شيء ثابت .
موجة تركض نحو الشاطىء
من ذا الذي يحملها ؟
رغـوة سوداء
على صخرة سوداء .
أفكـر في اليقظى
وفي عودتنا بين الناس .

المقعد الخالي

طوال الليل كان الناس
محبوسين داخل الجدران
يتعبون صامتين .
ثم خرجوا الى المنتزه
فاكتشفوا ان النهار قد طلع .
وفـي الهـواء
كانت طراوة الاوراق
وأغاريد البلابل .
لقـد أحسوا
بانهم كانوا دائما امواتا
أولئك الناس ،
ومـع ذلـك
ـ هكذا كانوا يفكرون
بين اليقظة والنوم ـ
لـن يلبث
ان يصبح مقعدنا خاليا .
ولن يرجع بعدئذ أحد
من عالم الصمت اللاملموس .
وستطلع الاصباح دائما
مـع اغاريـد الطيور .

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

رفيق اللبابيدي - عبد الله الجزار
عبد الرحمن الكيالي - نبيل بدران

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ــ محمد رفيق اللبابيدي

ولد « محمد رفيق » في مدينة عكاء بفلسطين سنة ١٩٠٨ ونشا وترعرع في مدينة الناصرة ، وفيها قضى طفولته وتلقى دروسه الابتدائية . وبعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها عاد مع اسرته الى عكاء والتحق بمدرستها الاميرية وانهى الصف الثانوي الاول ، وهو نهاية صفوفها ، ثم جاء بيت المقدس ودخل الكلية البطريركية (الكردينال فراري فيما بعد) وغلب عليه الاتجاه الادبي تحت وطاة الاوضاع السياسية الشاذة التي كانت تسود فلسطين ، ووجد فيه متنفسا للقلق النفسي الذي كان يلازم الشباب الفلسطيني الواعي .

وبتوجيه من استاذ الجيل المرحوم خليل السكاكيني وبتوصية منه الى صديقه الدكتور منصور فهمي التحق « محمد رفيق » بالجامعة المصرية الاهلية كطالب مستمع ، وكان يتردد على حلقات في الازهر الشريف ليدرس اللغة العربية دراسة شاملة عميقة الجذور ، وحين تحولت الجامعة المصرية من صفتها الاهلية الى صفتها الحكومية آثر « محمد رفيق » ان يلتحق بكلية « دار العلوم » بنصح من الشيخ عبد العزيز شاويش ، وقد اشتهرت هذه الكلية بتخريج مدرسين للغة العربية وادبها .

وفي خريف عام ١٩٣٢ تخرج « محمد رفيق » من « دار العلوم » وحصل على اجازتها العليا وعاد الى فلسطين وعين استاذا للادب العربي في الثانويات الاميرية لمدن يافا وحيفا وعكاء ، وخلال عمله في قطاع التدريس اعارته معارف فلسطين لحكومة البحرين ، وهناك اسهم في انشاء مدرسة ثانوية وامضى فيها سنة في تدريس اللغة العربية .

وتحت وطاة الكارثة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) عاد « محمد رفيق » الى القاهرة وشارك في المؤتمر الوطني الفلسطيني المنعقد بمدينة غزة ، ممثلا لمدينة عكاء وعمل سكرتيرا خاصا بالمرحوم احمد حلمي عبد الباقي رئيس حكومة عموم فلسطين فممثلا لفلسطين في لجنة فلسطين الدائمة المنبثقة من مجلس جامعة الدول العربية (١٩٤٨ ــ ١٩٥٤) .

وعند انشاء « ادارة فلسطين » في الامانة العامة لجامعة الدول العربية وقع عليه اختيار المسؤولين ليكون موظفا في الجامعة فعمل فيها قرابة اربع عشرة سنة وكيلا لادارة فلسطين فمديرا لادارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، الى حين احالته على التقاعد عام ١٩٦٨ .

كتب « محمد رفيق » فصولا ادبية اتسمت بالعمق والشمول ، ونشر مقالات مسلسلة عام ١٩٥٣ في جريدة « الدفاع » تحت عنوان « كيف نستعرض ادبنا العربي ؟ » تميزت ببساطة في التعبير ، وسلاسة في الاداء ، ويغلب على نثره الاداء السليم والبعد عن الاسلوب الادبي الخاضع لتاثير ما قرأه وحفظه من النصوص الادبية ، اذ ان حياته المتصلة بشؤون عمله في جامعة الدول العربية (١٩٤٨ ــ ١٩٦٨) قد طوعت اسلوبه لما هو مالوف في صياغة المذكرات الدبلوماسية .

وتأثر اسلوبه الادبي بالوان الثقافة التي تسلح بها خلال مطالعاته ، واسفرت طريقته في تدريس اللغة العربية عن اعتراف طلابه بمحاسن هذه الطريقة واقبالهم على دراستها بشغف ولذة ، وهو يفاخر بالسنوات التي سلخها كمدرس للعربية وآدابها لاخلاصه في خدمة لغته وتدريسها باسلوب جذاب جميل بعيد عن الجمود الذي كان يسود المدارس العربية عهد ذاك .

وخلال معالجته الشؤون الادبية في الصحف الفلسطينية اشتهر بتوقيعه الادبي « ابن خلدون » بوصفه موظفا محظور عليه الكتابة في الصحف والمجلات .

من آثاره القلمية : لو قدر لمحمد رفيق ان يجمع الفصول الادبية التي نشرها والمقالات التي لم تنشر ، وحزمها في كتب مطبوعة لاثرى الخزانة الادبية بروائع نثره . ويحتفظ « محمد رفيق » بمخطوطين احدهما عن القضية الفلسطينية والاخر عن الجامعة العربية من زاوية عمله فيها مدة ١٤ عاما .

نموذج من شعره : قرض « محمد رفيق » الشعر في مناسبات شتى . وهو يقول ان شعره متوسط لا يعدو ان يكون صورا من صور الاستجابة للانفعالات العفوية . ومن المؤسف فقدان ما نظم من شعر ، غير اننا نحتفظ بابيات وجهها الى اديب العربية الكبير المرحوم اسعاف النشاشيبي في ربيع عام ١٩٣٢ بمناسبة صدور كتابه « البطل الخالد صلاح الدين » وقد نشرتها جريدة « الجهاد » القاهرية ونقلتها جريدة « الجامعة الاسلامية » اليافية في صفحتها الاولى ، ودونك تلك الابيات :

من بيان الفرقان صاغ بيانه ... زانه الله بالبلاغة زانه
أي نثر يجري وراء درار ... يه وشعر يحكي اليه جمانه
جادني غيثه بيانا مصفى ... من رحيق الله اكبر شانه
في كتاب فيه من السحر ذوب ... ومن الروض جنة فينانه
لم يعبه سوى قلائد عقيا ... ن ونسج ما كان الا رصانه

قام يتلو لنا مزامير داوو ... د ويحكي عن معبد الحانه
ويشق التاريخ ياتي بسحبا ... ن ليروي من مزنه سحبانه
أين يممت مبصر انت منه ... ثمر الفضل مدركا ابانه
بسمات الربيع يرفل بالز ... هر ويبدي من زهره انسانه

انما انت وثبة الدهر فيها ... خص بها الكون صادعا اركانه
هي أم اللغات فاسح بأي ... من بليغ المأثور تلك الرطانه
لقيت فيك كهفها أي كهف ... كان « اسعاف » حارسا ميدانه

وبعد ان وقف المرحوم النشاشيبي على ابيات اللبابيدي الاحد عشر اهداه احدى عشرة نسخة من كتابه « البطل الخالد صلاح الدين » هدية منه الى ابياته الاحد عشر ... ووجه اليه الرسالة التالية بالخط الكوفي الذي اشتهر به سادن اللغة العربية :

« سيدي الاديب النابغة السيد محمد رفيق اللبابيدي

قرات القصيدة في الجهاد وفي الجامعة الاسلامية ، شعوري بعد التلاوة وسروري بنبوغ نابغة عربي يتمثلان بقول المتنبي :

رب ما لا يعبر اللفظ عنه ... والذي يضمر الفؤاد اعتقاده

وقد ارسلت باثنتي عشرة نسخة هدية الى احد عشر بيتا من القصيدة . والسيد يهدي النسخ الى من احب واما البيت العاشر فالله اسئل ان يعينني على مكافاته .

٢ ــ الشيخ عبد الله الجزار

ولد « الجزار » في مدينة « عكا » عام ١٨٥٥ وتحدر من اسرة دلفت

الى فلسطين من المغرب العربي ، وبعد ان درس علومه الابتدائية في بعض كتاتيبها قصد الازهر الشريف ليتزود بالعلم والمعرفة بتشجيع من الشيخ علي اليشرطي ثم عاد الى مسقط رأسه حاملا شهادة العالمية ، ضليعا من اللغة العربية والفقه ، وعين مدرسا وخطيبا واماما في جامع احمد باشا الجزار حاكم عكا المشهور وصاحب الحوادث التاريخية مع نابوليون ، ثم التحق بالقضاء الشرعي كاتبا في المحكمة الشرعية في العهد العثماني ، وتدرج في سلك القضاء حتى اصبح قاضيا شرعيا لمحكمة عكا الشرعية فمفتيا لهذه المدينة التاريخية في العهد العثماني ، ثم ظل في الافتاء زمن الانتداب البريطاني حتى آخر حياته وجعله المجلس الاسلامي الاعلى قاضي عكا الشرعي ايضا فجمع بين هذين العملين ، ولكن في زمن الانتداب كانت وظيفة القضاء الشرعي هي المعول عليها .

وليتمكن الشيخ الجزار من اداء رسالة العلم الصحيح اسس « المدرسة الاحمدية » (نسبة لاحمد باشا الجزار) في حرم جامع الجزار بعكا وتولى تخريج الطلاب منها على طريقته في التعليم والتنشئة، فخرج من بين يديه ارهاط منهم من كان له شأن في المجتمع العربي الاسلامي في فلسطين وخارجها .

وفي حرم الجامع اقام ما يقرب من مئة غرفة ، كان الغرض من اقامتها نزول الطلبة القادمين من فلسطين وحوران طلبا للعلم ، وقد رصدت لهذه المدرسة مخصصات من ريع الاوقاف التي اوقفها احمد باشا الجزار للانفاق على هذه المدرسة ، ولصرف الرواتب لطلابها .

والذين اتصل حبلهم بحبل الشيخ الجزار وتتلمذوا له ، عرفوا فيه سمت الهيبة والوقار ، وخبروه فقيها راوية للحديث ، حافظا للنصوص ، مرجعا في شؤون الفتوى ، وتقيا صالحا ورعا يهابه مواطنوه ويحترمه طلابه .

وكان الشيخ الجزار اذا سار من بيته الى المدرسة اقبل الناس على لثم يديه ، ودرج على عادة سنوية مستحبة هي تلاوة السيرة النبوية ليلة عيد المولد النبوي بصوت مؤثر رخيم .

وبعد وفاته عام ١٩٣٩ دفن في مقبرة الشيخ مبارك بمدينة عكا .

من آثاره القلمية : لم نقف للشيخ الجزار على اثر قلمي مطبوع سوى انه حقق « رسالة الربيع بن الليث » وطبعها في عكا سنة ١٩٢٨ ، والارجح ان لديه آثارا مخطوطة لكنها ذهبت مع الريح بذهابه من هذه الدنيا !

٣ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي

ولد « عبد الرحمن » في مدينة « الرملة » البيضاء بفلسطين عام ١٩١٦ ، اما والده الشيخ رباح صالح الكيالي فمن مواليد « اللد » وتعلم « عبد الرحمن » عليه مبادىء القراءة والكتابة والقواعد العربية ودخل مدرسة الرملة الحكومية عام ١٩٢١ ومكث فيها حتى نهاية عام ١٩٢٨ واتم الصف الثانوي الثاني بنجاح وكان لوالدته فضل في اصرارها على ان يواصل ولدها تعليمه في الازهر ، وفي (١٩٢٨ ـ ١٩٢٩) حقق امنية والدته اذ قصد الازهر وامضى فيه اربع سنوات وحصل على شهادتيه الابتدائية والثانوية .

وفي عام ١٩٣٢ التحق بـ « دار العلوم العليا » بالقاهرة وامضى فيها اربع سنين وعاد منها الى فلسطين يحمل اجازة التدريس وعمل استاذا للغة العربية وآدابها في « كلية روضة المعارف » بالقدس سنتين كاملتين وفي ربيع عام ١٩٤١ عين في ادارة المعارف بالقدس وعمل مدرسا للعربية في ثانوية الخليل ثم نقل الى المحاكم الشرعية وعمل رئيسا لديوان محكمة القدس الشرعية فنائبا لقاضيها الشرعي فقاضيا شرعيا ثانيا في مدينة يافا لكنه لم يمارس عمله فيها نظرا للاحداث التي سادت فلسطين عام ١٩٤٨ .

وفي نهاية ١٩٤٨ هاجر الى دمشق فالعراق حيث عين استاذا للعربية في ثانوية الديوانية ثم عاد الى سورية وعين استاذا للعربية في ثانوية المعري بحلب . وفي عام ١٩٥٠ عاد الى القدس وعين استاذا للعربية في ثانوية الرشيدية وفي عام ١٩٥٢ عاد الى العراق وعمل استاذا للعربية في ثانوية الكويت ثم استاذا للعربية في ثانوية بغداد النموذجية ثم عاد الى الاردن وعين استاذا للعربية والتربية والفلسفة في كلية بيرزيت الوطنية وفي خريف عام ١٩٥٥ عين استاذا للعربية في « كلية الحسين الثانوية » بعمان ثم استاذا للعربية والثقافة الاسلامية في « دار المعلمين » بعمان ثم مديرا لدار المعلمين الريفية بحواره (من اعمال محافظة اربد) مدة سنتين ثم مفتشا عاما للغة العربية بوزارة التربية والتعليم ثم مراقبا للتوجيه التربوي في مديرية التربية والتعليم بعمان ثم مديرا للتربية والتعليم في محافظة البلقاء ثم مستشارا ثقافيا في سفارة الاردن بالجزائر ثم نقل رئيسا للتوجيه التربوي في وزارة التربية والتعليم بعمان ثم عاد الى الجزائر في صيف ١٩٦٨ معارا لوزارة التربية الجزائرية ليعمل في القطاع التربوي ، وفي عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ عين استاذا في « معهد تأهيل المفتشين ومديري دور المعلمين » التابع لجامعة الجزائر .

وخلال طلبه العلم في القاهرة كان عضوا في لجنة نادي الطلاب العرب نشر الكثير من شعره في « المقطم » و « الاهرام » و « البلاغ » و« الجهاد » والحياة و« كوكب الشرق » و« الرسالة » كما نشر قصائد في « الجهاد » و « الثبات » و « صوت الاهالي » البغدادية وفي « الدفاع » و « فلسطين » و « الحرية » التي كانت تصدر في يافا بفلسطين كما نشر مقالات في صحيفة « الجهاد » المقدسية وقصصا وشعرا في مجلة « الآداب » البيروتية .

وفي عام ١٩٣٦ تفوق في مسابقة الشعر الادبية اذ جاء الاول في تلك المسابقة التي جرت في القاهرة للعيد الوطني الاقتصادي ، كما اذاع القصائد والقى المحاضرات من اذاعة القدس ونشر اثنتين وعشرين مقالة مسلسلة في جريدة « الجامعة الاسلامية » لصاحبها المرحوم الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، تؤلف كتابا بعنوان « حرية الفكر في الاسلام » . والقى محاضرات ادبية في يافا والقدس وحلب والجزائر وغيرها واشترك في عدد من المؤتمرات التربوية .

وابان عمله في جامعة الجزائر اعد بحثا وافيا عن « الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين » ابتداء من ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ وهو موضوع رسالة قدمها الى جامعة الجزائر وحصل منها على شهادة « دكتور في الآداب » .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور عبد الرحمن الكيالي بعض آثاره القلمية ومنها :

١ ـ الوافي : في تاريخ الادب العربي (ج ١) طبع في المطبعة العصرية بالقدس عام ١٩٥٠ .

٢ ـ القريب : في تاريخ الادب العربي ـ طبع في المطبعة العصرية بالقدس عام ١٩٥٤ .

٣ ـ الوافي : في تاريخ الادب العربي (ج ٢) طبع في المطبعة الاقتصادية بعمان عام ١٩٦٠ .

٤ ـ الوافي : في تاريخ الادب العربي (ج ٣) طبع في المطبعة الاقتصادية بعمان عام ١٩٦٠ .

٥ ـ التأسيس في النقد الادبي ـ طبع في المطبعة الاقتصادية بعمان عام ١٩٦٠ .

وله آثار قلمية ما زالت مخطوطة منها :

١ ـ معالم الادب الاندلسي .
٢ ـ حرية الفكر في الاسلام .
٣ ـ احاديث واقاصيص .
٤ ـ محاضرات وابحاث .
٥ ـ الساحل الوضاء (ديوان شعر) .
٦ ـ الشوط الاول (ديوان شعر) .
٧ ـ الدرب التائه (ديوان شعر) .

نماذج من شعره : كان الشاعر الكيالي يسير ذات ليلة في الجبال المحدقة ببلدة « بيرزيت » والمطلة على الساحل الفلسطيني فشاهد الانوار الكهربائية مشعشعة ... تنير الشاطىء الغربي على امتداده ، فآلمه ان يرى الوطن مغصوبا في يد العلج اليهودي المخمور بنشوة النصر فانشأ يقول :

هذي المشاعل في الشطوط مشاعلي ... والساحل الوضاء ذلك ساحلي
هي من دمائي تستمد زيوتها ... وضياءها من بسمتي وتفاؤلي
نشرت على الرمل الحبيب شعاعها ... ورمت ظلال السحر فوق خمائلي
وتبسمت والشوق يرسل في دمي ... نغم الحنين الى تراب الساحل

اني هنا فوق الجبال موطد ... قدمي أرقب موطني ومنازلي
احيا بمرآها الجميل وانتشي ... بعبيرها في بكرتي واصائلي
واغازل البدر المطل كزورق ... للتبر يمطرها بنور وابل
واشم زهر البرتقال واسمع الهمس ... الخفيف من الغصين المائل
واشارك الحسون في تنغيمه ... والقبرات ترف فوق سنابل

اني هنا فوق الجبال موطد ... قدمي كالعملاق دون تخاذل
اصغي الى التاريخ يلذع امتي ... بلظى يصب على الذليل الخامل
يجلو لها بين الدموع طريقها ... فوق النصال على ضريم شاعل
لكنها والقيد يثقل خطوها ... ترنو الى غدها بقلب آمل
وتصوغ من اناتها انشودة ... التحرير من ذل الهوان القاتل
وعلى نزيز البؤس من اكبادنا ... نحدى لتحقيق المصير الفاضل

اني هنا فوق الجبال مصمم ... اني سانزع شقوتي عن كاهلي
اني هنا... للنور ... للحق الذي ... تدعو اليه اواخري واوائلي
فردوسي المغصوب ذلك غايتي ... ومزارعي فيه وفيه معاملي
اني على هذي الجبال اعيشه ... بدمي واعصابي وكل وسائلي
في كل شبر من مفاتن ارضه ... مجد يزودني بعزم باسل
شهداؤه يحيون ملء جوانحي ... ورفاتهم تذكي لهيب مراجلي
أنا لاجىء فوق الجبال مشرد ... احيا لانعم بالمعاد العاجل
ساعود احمل راية الحق التي ... منها تشع مكارمي وشمائلي
واعلم الاجيال بعدي انني ... رويت من دمعي رياض فضائلي
هذي المشاعل في الشطوط مشاعلي ... والساحل الوضاء ذلك ساحلي

ولم ينس الاغتراب شاعرنا الكيالي الذل الذي يبلوه شعبه ... والهوان الذي تعانيه بلاده بعد ان استباحها « اليهودي التائه » بحديده وناره ... وعبث بمقدساتها ... وجرعها الزقوم والغسلين .

بلادي جراحك مني تسيل ... دماء توهج شريانها
سماؤك نبع الصفاء الحنون ... أيصفو لغازيك تحنانها
وانجمك الزهر الباسمات ... أيسطع بالنور برهانها
واطيارك الصدح الهاتفات ... أتهجع في الليل اكنانها
وازهارك الفضة الناعسات ... ايبسم للفجر وسنانها
وانداؤك الماس فوق المروج ... أيضحك للشمس عقيانها

فلسطين جل انتسابي اليك ... وان انكر الشمس عميانها

٤ ـ نبيل أيوب بدران

ولد « نبيل » في مدينة « حيفا » بفلسطين عام ١٩٣٧ ونشأ في اسرة عشقت فن التمثيل ، وهيأت من خلال فرقة تضم نفرا من الهواة جوا فنيا شهدته مدينة حيفا حتى عام ١٩٤٨ ، واشتهر والده اسكندر ايوب بدران بهواية التمثيل منذ عام ١٩٢٦ وكان من اعلام الحركة المسرحية بفلسطين .

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ نزحت اسرة بدران الى لبنان واستقرت في بيروت . وفي عام ١٩٥٧ حصل « نبيل » على البكالوريا اللبنانية (القسم الثاني) ولتوفر امكانية العمل في المانيا الغربية قصد جامعة شتوتفارت للتخصص في هندسة الكهرباء ، وقبل حلول موعد الدراسة عمل في مصانع سيمنس كرسام فني ، وخلال السنة الاولى من اقامته بالمانيا بدأ اهتمامه بالشؤون الاقتصادية وبمشاكل الدول النامية ، اقبل على دراسة الشؤون الاقتصادية والبحث في مشاكل التخلف ، وازداد اهتماما بالشؤون الاقتصادية ـ الاجتماعية في العالم .

وفي جامعة شتوتفارت شرع في دراسة الهندسة لكن اهتمامه العلمي اتجه شطر الاقتصاد وتضافرت عوامل جديدة جعلت من اهتمامه بالامور الاقتصادية والاجتماعية التزاما سياسيا . وخلال مشاركته في حلقة اتحاد عمال الجزائر في مدينة شتوتفارت ، خلال حرب التحرير الجزائرية ، تفتحت عيناه على اهمية العمل النقابي ، فراح يقارن بين علاقة الاستعمار بالتخلف الاقتصادي والاجتماعي للسكان الاصليين وللشعوب المستعمرة على وجه العموم ، واقبل على مطالعة الكتب التي تروي تاريخ التطور الاقتصادي والاجتماعي في الدول الاوروبية .

ومن الزاوية الاقتصادية ـ الاجتماعية طفق يحلل مشاكلنا القومية ويربط الوحدة العربية بمفهوم اقتصادي ، مدركا اهمية العمل والتثقيف في توحيد وتوعية الطبقة العاملة ، فحين طلب بعض العمال العرب ، ومعظمهم من الفلسطينيين الذين اموا المانيا طلبا للعمل ، الانتساب الى اتحاد الطلاب العرب في جامعة شتوتفارت كان « نبيل » عهد ذاك نائبا لامين السر ، فوجههم وساهم الجميع في انشاء اتحاد للعمال العرب في مدينة شتوتفارت .

وجاء انفصال عام ١٩٦١ ، الذي فرق الوحدة بين مصر وسورية ، يؤكد اهمية العامل الاجتماعي في الوحدة العربية . وحملته مؤازرته على الاهتمام الفعلي بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه وطننا العربي والاطلاع على تطور ومستوى الحركة العمالية وخلال عمله مع الطلاب والعمال العرب في المانيا بدأ يتلمس مشاكل الفرد العربي خصوصا فقدان المنهجية لديه وافتقار عمله الى وضوح في الهدف والتخطيط .

ازاء هذا الاهتمام المتزايد بالمشاكل الاقتصادية ـ الاجتماعية وجد « نبيل » نفسه في تناقض تام مع دراسة الهندسة ، وبعد عام ونصف العام من دراسته الهندسة قرر الاتجاه شطر علم الاقتصاد . وحفاظا على الفترة التي امضاها في درس الهندسة بجامعة شتوتفارت التحق بجامعة كالسروه الهندسية ليدرس الاقتصاد التقني ، وبعد فراغه من الامتحانات في علوم الاقتصاد قصد ، في الفصل الصيفي لعام ١٩٦٤ جامعة فرانكفورت لتوفر الموضوعات الاقتصادية والادارية في كلية الاقتصاد ولرفعة شأن اساتذتها خصوصا في علم الاجتماع . وخلال اقامته بمدينة كالسروه كان يعمل صيفا في مصانع شتوتفارت ليمارس بصورة واسعة نشاطه .

وبالرغم من التحاقه بجامعة فرانكفورت فقد حد من عمله مع نقابة شتوتفارت واتجه نحو النشاط الطلابي في مدينة فرانكفورت لتواجد الطلاب العرب فيها وهناك سعى مع بعض زملائه الى انشاء حلقة ثقافية هدفها رفع مستوى الطالب العربي من عقلية التلميذ الى عقلية الطالب الجامعي . وانطلاقا من معرفته بمشاكل البلاد النامية فقد استطاع الحصول على موافقة اساتذته على ان يعالج في اطروحة الدبلوم التي يقدمها علاقة النقابات العمالية بالتنمية الاقتصادية وكان عنوان الاطروحة التي اعدها « تأثير زيادة اجور العمال في القطاع الصناعي على دخل الفرد في القطاع الزراعي في الدول النامية » .

وفي عام ١٩٦٦ دعا المركز اللبناني العربي للعلاقات العامة في بيروت الى مسابقة عن الاقتصاد اللبناني كان موضوعها « خلل التبادل الاقتصادي اللبناني ومدلوله في امكانيات التنمية » فعاد « نبيل » الى بيروت وقدم لهذه المسابقة دراسة جاءت في ٣٥٣ صفحة فنال بها

قالت

الشمل منعقد الاواصر من كل سامرة وسامر
في ليلة رقص الفتون على مناجاة الضمائر
قالت وملء اهابها روح تأجج بالمشاعر
وتأوهت فكأنما زفراتها لهب المجامر
واشتد نبض عروقها بدم من الاعماق فائر
فسقت حقول الياسمين بأرجوان نجيع ثائر
حسناء حاك لها الجمال غلالة أرج الازاهر
فاذا بها فينوس تخطر من جديد في الحواضر
ويلفها شوق ينوء بحمله جيل مكابر

وعلى حدود ... نؤ من التحنان ماطر
يهمي كفيض غمامة ألقا على ألق المحاجر
فيضوع عبر حديثها نفس لذيذ الشم طاهر
كأريج زنبقة مندى مفعم النسمات عاطر
« يا صاحبي ذبل الغرام ولم يعد في الناس شاعر
هلك الألى كانت لهم بهوى نفوسهم بصائر
العاشقون المدنفون مضت عصورهم الغوابر

لا قيس بعد اليوم يحرق راحتيه ولا يحاذر
فالحب في هذا الزمان فعال فاجرة وفاجر »

غامت رؤاى على محيا رائع القسمات آسر
وتأملت عيناي عينيها كفعل فتى مغامر
أرنو فأرمق حسنها ثملا كما أرنو لساحر
يا للأسى ، الحسن ينحب وهو مثل الروض ناضر
ومضت تمر بخاطري صور مجنحة الخواطر
اتكون مثل شذا الربيع وقلبها بالبؤس عامر .

وسبحت في لجج من النعمى كقرصان مخاطر
اذ شاهد الشط القريب وبحره بالهول زاخر
وصرخت من لهف وبي شوق الى الشفتين قاهر
يا غادتي هذا الحبيب أتاك فوق جناح طائر
ليلم اشرعة الاسى عن زورق الحب المهاجر

خليل خلايلي
دمشق

الجائزة الثانية .

وبعد نشوب حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ جمد « نبيل » دراسته في المانيا وعاد في صيف ١٩٦٨ الى بيروت والتحق بجهاز مركز الابحاث وتفرغ ، كباحث واسع الاطلاع ، للقضايا التي يبلوها الشعب الفلسطيني .

من آثاره القلمية : تلمس « نبيل » مشاكلنا الاجتماعية والاقتصادية فعالج بعضها بقلمه ووضع كتابا بعنوان « التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني » وقصره على مرحلة ما قبل عام ١٩٤٨ وصدر هذا الكتاب عام ١٩٦٨ عن « مركز الابحاث » التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت .

نموذج من نثره : « هزت الحرب العالمية الاولى المجتمع العربي المشرقي هزا عنيفا وغيرت بعض معالم الخارطة السياسية ، اذ دخل الشعب العربي بعد هذه الحرب في عملية تحول ومعرفة للذات القومية بشمول لم يكن متصورا قبل الحرب ، ولكن سرعة التحول لم تكن مرئية .

لم يكن هذا التحول انقلابا في تكوين المجتمع العربي بل افرازا سريعا لقوى جديدة ، غير منسلخة عن القوى التقليدية ، وفي الوقت نفسه سارعت القوى التقليدية في تطوير نفسها ، بصورة اسرع من ذي قبل لضمان نفوذها . ونتيجة للتطور الاقتصادي المتأثر بالعوامل الداخلية والخارجية ، اضطر المجتمع العربي لتغيير الكثير في مسلكه ومفاهيمه نسبيا ، فبدا ذلك في حياته اليومية ، كمثل انتشار اللباس الاوروبي والرغبة في تعليم الابناء تعليما حديثا .

واعترافا بهذا التغيير وادراكا لابعاده ، لا بد من التأكيد على ان النتائج الحقيقية لهذا التغيير ستأتي مع الثلاثينات ، اي مع انتشار النمط الاقتصادي الحديث والجهاز الحكومي والتعليم .

ومع بدء الحكم الاستعماري البريطاني لفلسطين ، كان المجتمع الفلسطيني ما يزال محافظا على طابعه التقليدي ، اذ بقيت القوى الاجتماعية السابقة ، بالرغم من هذه الحرب في مواقعها ، ولكن التراكم الحضاري ، الذي حصل خلال الاربعين سنة الاخيرة من الحكم العثماني ، ساهم في الاسراع بنشر التغيير او التحديث بعد الحرب .

ان دراسة المجتمع الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى لن تكون بحثا استطلاعيا « ستاتيكيا » بل تسعى الى فهم هذا المجتمع من خلال تطوره وقوة مراكز طبقاته وفئاته » .

عمان — الاردن

البدوي الملثم

واخيرا .. ها هو في طريقه الى شقة طارق .. رغم كل العقبات ، الفكرة خطرت له اول وهلة عندما اخبرته مدرسة فصله انه لا دراسة للفصل كله اليوم حيث الكبار يمتحنون امامه ساعتان يستطيع ان ينفقهما في اللعب عند طارق .. ولا بأس ان يقول لوالده بعد ذلك عن الحقيقة حتى لا يدخل النار كما اكدت له امه عن جزاء الكاذبين ، ما الذي يستطيع عمله عندئذ سيضربه ثمن تافه لمتعة كبرى وسعادة عظمى ... من بوسعه ان يرى لعب طارق ولا يقول ذلك ؟ المهم لن يستطيع ان بعيد عقارب الساعة ليمنعه عن الذهاب كما فعل حتى الان ... والده يجلس كالاسد ــ كعادته دائما ــ امام باب العمارة .. يبدو انه لن يستطيع فعلها ليته يذهب الى اي مكان ، لكن الامل كان ضئيلا ... فهو لا يبارح دكته ابدا الا اذا كان طلب احد السكان مستعجلا وكان صبياه غائبين ، صبياه جالسين من حوله الى يمين والى اليسار مستحيل ان يخطر لثلاثة من السكان شراء اشياء في فترة واحدة .. فجأة تذكر سلم الخدم .. انه حتى لو ولج من المدخل الرئيسي فلن يستعمل المصعد ... وما حاجته به ؟ انه يصعد الادوار الاثني عشر جميعا في المناسبات ليرى الالعاب النارية من فوق السطح فهل ستتعبه اليوم خمسة ؟ لم يتردد هو دائما ينفذ اوامر والده . اغلبها كان معقولا .. اليوم لا حق له في رفضه فاللواء بنفسه هو الذي دعاه .. بل واكد عليه .

حادثة تبدو غير قابلة للتصديق يحلو له كثيرا ان يستعيدها لنفسه ولاصدقائه في المدرسة وقبلها كان لا بد ان يستعيد الحادثة الاولى .. العناية الالهية وحدها من غير شك هي التي ساقته الى المدخل الخلفي للعمارة في ذلك اليوم بل وتلك اللحظة بالذات فاذا به يسمع صرخات واهنة ضعيفة .. جرى الى مصدرها ليرى ذلك المنظر الرهيب بنت اللواء عبد الخالق متدلية حتى رأسها في فتحة المجاري ومتعلقة بيديها الضعيفتين في حافة الفتحة .. انطلق يجري الى والده وصبيانه الذين لحقوا الطفلة على اخر رمق .

ما كادوا ينتشلونها حتى اغمي عليها ، الله وحده يعلم ماذا كان منظر اللواء عبد الخالق حين راى الطفلة اذا كان ذلك كان منظره بعدها بنصف ساعة . كالوحش الهائج ، رغم انه كان سبب نجاتها الا ان منظره اخافه حتى اضطر الى الانزواء تحت دكة والده وصوت اللواء يهدد ويتوعد يصله حتى هناك ، وجاء بوليس النجدة والمطافىء والاسعاف لا بد بناء على

كان اجمل يوم

بقلم السيدة احسان كمال

استدعائه .. انحصرت المسؤولية اخيرا على الزبالين الذين كانوا يمسحون السلم والفناء واضطروا الى كشف غطاء المجاري لتصريف المياه ثم نسوا تغطيته تشبث اللواء باول الخيط واصر على خراب بيوتهم .. زادت ثورته عندما امسك بعصا زعافة الحوائط ودلاها في الفتحة فكادت تختفي باكملها ... القى بالخشبة بعيدا وجلس على الارض في حالة ذهول .. ظل فترة يخبط كفا بكف وهو يردد « لا حول ولا قوة الا بالله .. لولا لطف الله والولد الصغير لضاعت البنت وما ابشعها ميتة .. ربما لم يعلم بامرها احد وظللنا نبحث عنها العمر كله .. هذا اهمال جسيم » .

قصة

ولا يشبع فضول السامعين عن مدى ما نفذه اللواء من تهديداته سريعا ما يقفز الى الصورة الثانية .. التي كانت على عكس الاولى .. جميلة مورقة .. يكاد يقسم انها المرة الاولى التي راى فيها ــ هو او غيره ــ اللواء عبد الخالق يضحك ، لماذا هو متجهم دائما .. يشبه منظر ابيه عندما اختلف معه صاحب العمارة السابقة ففصله وظل طويلا يتردد على قهوة النوبيين ثم يعود مكشرا . ايامها سمع اكثر من مرة كلمة « خالي شغل » هل اللواء ايضا خالي شغل ، لكنه غني جدا . لعب ابنه وحدها في غرفته الصغيرة تكفي لفتح محل لبيع اللعب ، ملابسه واولاده الفخمة والسيارات الفارهة والسائق تلمع على ذراعه الاشرطة .. لا يملك ابوه عشر هذا ولا يكف طول النهار عن الضحك . مع ذلك ما شأنه هو وتكشيرة اللواء المهم انه في تلك المرة الوحيدة الخالدة التي ضحك فيها كان يضحك له هو .. اكثر من ذلك داعب شعره باصابعه هل كان فيها كهرباء كاد جسمه كله يرتعش ، ابنك هذا يا عم عبده ؟ .. يبدو ان الضحك يمدي .. ابوه ايضا ضحك هو ويرد بالايجاب فعاد اللواء يسأل :

ــ هو الذي راى الحادثة يومها اليس كذلك ؟

ــ نعم .. الحمد لله .. جاء ساعتها يجري باقصى سرعة .

ــ يبدو انه ولد نبيه .. اسمع دعه يأتي عندنا يوما ليلعب مع طارق رد والده بغمغمة لا تكاد تبين فعاد اللواء يؤكد .

ــ ضروري .. ضروري من حضوره .. وسأكون ــ وكذلك طارق ــ مسرورين من زيارته .

لماذا يرفض والده اذن. لايستطيع ان يحضر له لعبة واحدة من عشرات عند طارق ثم يحرمه من فرصة كهذه تهبط عليه من السماء ، لم تكن تلك باول مرة يقف فيها هذا الموقف يوم نادته حرم الدكتور مؤمن واعطته قرشا ليشتري لها علبة سجائر اعترض بشدة واعاد لها القرش مؤكدا ان صبيه سيعود خلال دقائق .. كانت تلك اوامره له دائما « لا تأخذ نقودا من اي ساكن مع انه هو يأخذ منهم جميعا هل يفضل مكسب صبيانه على مكسب ابنه؟ لم يكن يستطيع مناقشة ابيه لذلك حمد الله ان حرم الدكتور عمدت الى مناقشته .. رد عليها بكبرياء :

ــ لن يكون خادما يكفي ابيه ، احرم نفسي من اشياء كثيرة كي اعلمه حتى يصل الى مستقبل افضل

ــ وذلك لا يتعارض مع تلبية طلب اي ساكن .

ــ بل سيشب ونفسيته معتادة المهانة .

ــ اي مهانة ؟ .. انك معقد .

ــ انني حر في ابني واذا كنت متعجلة سأشتري لك انا ولكن ابني لن يخدم احدا حتى يستطيع ان يملأ مركزه عندما يصبح من السادة.

لم يفهم شيئا يومها وعاد والده يؤكد عليه ما سبق من اوامره ، اعتبر نفسك كاحد اطفال السكان هل يستطيع ساكن اخر ان يرسلهم لقضاء احد شؤونه لقاء قرش ؟ اذا كان حقا يراه مساويا لابناء السكان فلماذا يمنعه من تلبية دعوة اللواء .

قال بدهشة : هل تعتبرها حقا دعوة ؟ .. كانت كلمة .. مجرد كلمة .. ربما نساها ثاني يوم ... ربما اعترضت زوجته .. ربما بدوت في عينها قذرا .. ربما تعالى ابنه عليك ورفض اللعب معك .. لماذا تعرض نفسك للسخرية والطرد ؟ .

لا .. ابوه يبالغ . طارق لطيف .. اكثر من مرة تحدث معه عما شاهده في التلفزيون اللواء ايضا ليس طفلا يقول الكلمة ويرجع فيها .. الم يقل ابوه ذلك عن نفسه ذات مرة الشعرات البيضاء في رأس اللواء اكثر منها في رأس ابيه ، زوجة اللواء هي التي يخشى منها حقا متعجرفة للغاية . جلس على السلم دفعة واحدة .. ما العمل لو لم يكن اللواء بالشقة .. هل يكتفي الخدم بطرده ام يضربوه على جراته دق قلبه الصغير بعنف لكن ساقيه لم تطاوعاه على النزول .. نافذة الجنة مغلقة



احسان كامل

كعادتها منذ شهر وهذا ما ضاعف عذابه .. قبل هذه الموجة الباردة كانت شرفة حجرة طارق المطلة على السلم الخلفي دائما مفتوحة كان يسره مجرد مشاهدة اللعب المدهشة من بعيد .. اروعها السيارة الحمراء .. اكثر من مرة تصور نفسه هو ــ وليس طارق الجالس داخلها يتجول بها في الفيراندة حول المرجيحة الكبيرة ذات الالوان البديعة والكرسي الذي شكل على هيئة اوزة .. متفاديا بمهارة الحصان الخشبي الهزاز والدراجة الصغيرة .. اعادت مناظر اللعب في خياله القوة والحماسة الى قلبه فعاد يكمل السلم آن للخيال اليوم ان يتجسد ... تلك مكافأته الوحيدة .. ماذا استفاد من الورقة المالية الكبيرة ؟ لم يكن شبح اللواء داخل سيارته قد اختفى عن ناظريه بعد حين مد ابوه يده واخذها .. اقفل فمه على سؤاله فاطل من عينيه .. اجاب الوالد :

ــ والدتك قاربت الولادة .

كان والده يعلم من اسابيع ان والدته قاربت على الولادة فهل كان يتوقع ان ما حدث سيحدث عموما لا بأس فالدعوة بالنسبة له اجمل ولن يعاون والدته في وضع حملها ان تحل محله .

قبل ان يعود شبح اصبع والده للمثول امام عينيه محذرا كانت اصبعه هو تضغط زر الجرس ... بالكاد استطاع افهام الخادمة التي شهقت مستنكرة .. رجاها بلهجة هي مزيج من التوسل والتصميم معا ان تبلغ سيادة اللواء .. عادت اليه وقد تغيرت سحنتها .. سار خلفها واجف القلب .. هز رأسه هزة ذات مغزى « لم تكن مجرد كلمة قالها اللواء يا ابي .. » في طريقه الى الباب مع الهانم قابلني ورحب بي . بل واكد على خادمته ان تقدم لي شيكولاته . حمدا لله انهم خارجون .. يستطيع ان يأخذ حريته في اللعب .. ولن يخشى ان ترتفع انغام الكمان او تعلو فرقعة البندقية او يحدث القطار الكهربائي ضجة اثناء سيره . طارق ايضا قابله بحفاوة .. دهش للحقيبة في يده .. اضطر للرد على سؤاله :

ــ اذهب للمدرسة بعد الظهر ..

ــ اذن ارني خطك في العربي ..

ان والدي يقول ان خطي رديء .

لم ينتظر الرد وبادر بفتح الحقيبة وانطلقت فرقعة .. لا .. لم يكن بداخل الحقيبة قنبلة زمنية .. اسرع بفتح علبة الكبريت الصغيرة

ليهدىء من روع طارق .. الخجل يعوق حركته .. لماذا لقيه اليوم ؟ وما الذي دفعه لاخذه .. ؟ لعب به في حياته كلها مرات معدودة ... لدقائق .. وبعدها كان يتركه حيث وجده .. اول مرة يضعه في حقيبته ماذا سيقول عنه طارق الان : صدق والده .. لم يكن من الصواب ان يصعد للعب مع ابن اللواء عبد الخالق .. هل تحوي حقيبة طارق المدرسية حشرات ؟ كما توقع صرخ طارق منزعجا .

– صرصار .. صرصار ..

لا فرقع لوز .. اهون .. الصرصار اكثر قذارة .. كأنما هو يقدم اعتذارا .

– بل هو فرقع لوز ..

– صحيح .. شكله ليس كشكل الصرصار .. لكني لم اره من قبل قط .

– هو نادر .. يمر احيانا عام واكثر دون ان نرى واحدا منه .

– ولكن لماذا تحتفظ به ؟ .. هز كتفيه .. سأل نفسه هذا السؤال من ثوان .. لم يجد ما يرد به سوى ان يقول : « انظر » وضع سبابته على ظهر الحشرة الصغيرة فانطلقت تقفز قفزة عالية وهي تطرقع بذلك الصوت الغريب .. افاق طارق من ذهوله ليضحك عاليا .. سأل باهتمام « هل يفعل ذلك اذا لمسته انا » ، اسرع يجرب ، وتكررت الحركة .. ، وفي كل مرة يزداد انبهاره .. بدأ الهدوء يتسلل الى نفس بكر .. بل السرور .. والزهوة ، لكنه ما لبث ان بدأ يضيق .. زادها طارق بعض الشيء ، لا يا طارق .. ليس فرقع لوز باللعبة الممتعة الى هذا الحد .. انا نفسي .. رغم حرماني من اللعب .. لم اكن اغتبط به هكذا ، ترمومتر السرور بدأ ينخفض بنفس نسبة ارتفاعه عند طارق .. هتف الاخير:

– ماذا لو اركبناه طائرة ؟ اسرع الى بعض اوراق القص واللصق .. عمل دائرة وبللها ثم وضع فوقها فرقع لوز .. لصقت الورقة ببطنه .. لمسه .. قفز بالورقة ، وقفز طارق ايضا وقد استخفه المرح :

– الطائرة ينقصها ذيل ..

بدأ يعمل في تأن وعناية . عمل الذيل ليس سهلا .. اوراق عديدة تقص وتربط بخيوط وتلصق اسند بكر راسه الى كفه .. لكن الضيق يمنحه بعض الجراة ..

– الا تلاعبني ببعض لعبك يا طارق ؟ هتف بدهشة : طبعا – طبعا ... دقائق .

قفز فرقع لوز بالذيل .. لا شك ان شكله كان مبهجا جدا والا لما هلل طارق كل هذا التهليل اما هو فرآه سخيفا غاية السخف :

– ما هذا الصندوق الذي حط فرقع لوز بجواره ؟

– هذا انسان آلي .

– ماذا يفعل ؟ ..

– انه رائع .. يسير بقدميه وعلى شاشة التلفزيون في صدره تتوالى مناظر الفضاء البديعة .. انظر .. انطلقت الفرقعة .. صاح بدهشة :

– لم المسه ..

رد بجفاء : احيانا يقفز وحده ..

– لكنه اختفى ..ترى اين ذهب؟

– ماذا قلت عن هذا الانسان الآلي ؟

اشاح بيده : ادره انت يا اخي وتفرج عليه ..

– لكن كيف ؟

– ضع السلك في راسه .

لكنه لم يعرف .. خشي ان يفسده .

يستطيع ان يدير القطار :

– اين هو يا طارق .

تلفت طارق حائرا : لا ادري والله .. آه .. ها هو ..

قفز اسفل الدولاب ليخرج ممسكا بفرقع لوز ..

– هل عطل ..؟ المسه فلا يقفز ..

احس بالشماتة بل لم يستطع ان يخفي سخريته :

– ربما ليس له مزاج ..

اثار ذلك اهتمام طارق وتشبثه باللعبة اكثر .. اول مرة يلعب بلعبة لها ارادتها الخاصة فلا تستجيب لرغبته المطلقة وتدور عندما يريد . اشاح بكر براسه فاذا به يلمح – من خلال النافذة – الشمس وقد اوشكت على المغيب .. لم يبق الا القليل على موعد عودته من المدرسة ويجب الا يتجاوز حتى لا يزيد قلق والدته عليه من عقاب والده .. غمغم بأسى :

– كادت الدنيا تظلم .

تنبه طارق « هذا صحيح» ترك فرقع لوز ومضى .. دولاب اللعب من هنا يا طارق .. لكن الاخير ضغط زر النور ثم عاد الى لعبته الجديدة مكررا محاولته للتغلب على عنادها المفاجىء .

– سأنزل يا طارق ..

– لم تلعب بعد .. اسمع .. هل تستطيع ان تتركه لي ؟

– بالتأكيد .. انني لا اريده قط .

– اذن سأدعه الان .. اين علبته؟

فتح دولابه ولم يستطع اغلاقه .. كانت بين ذراعيه الصغيرتين كومة كبيرة من اللعب وضعها امام بكر واخذ منه علبة الكبريت .. لكنه لم يودعها كنزه الثمين .. رفع اصبعه وكأنه امام مدرسته : آخر مرة والله العظيم ..

وقفز فرقع لوز .. كانت قفزته الاخيرة فعلا كاد ان يصطدم بوجه الخادمة وهي داخلة تحمل كوبا من اللبن .. شهقت .. اسرعت تخلع شبشبها وفي ثانية واحدة انتهى كل شيء صرخ طارق : – ما هذا ؟

– فرقع لوز

– ما هذا الذي فعلته ؟

قتلته ...

– لكني كنت العب به .. لقد اهدانيه بكر .

اهـواك

الى الصديق الشاعر احمد أبو سعد

★

أهواك فـوق تصور وتخيـل وهواك سحر يبعث الالهام لـي
يا افق اسعادي وموئل غبطتي ونعيم آمالـي وحلم تأملـي
ما لحت لـي الا وقلت قصيدة عصماء لـم تخطر ببـال البلبـل
وطفقت في وادي الجمال مرددا لحني بحبـك في نشيـد مرسل
الحسن انت كساك من افوافـه القا تطوف بـه القلوب وتجتلـي
عيناك علمتـا فؤادي في الهـوى سر الفتون مـن الجمال المذهـل
مالي وحبك غير وجهك مصدر للوحي حيث صباك وحي تخيلي
ان الوسيلـة في المحبـة غايـة صعبت معانيها لفهـم العـذل
احبيبتي لولاك مـا غنى الهـوى لحنا على قيثار عمـري المقبـل
قد كان عمري قبل حبك فارغـا مستوحشا ابدا كقفـر ممحـل
فسطعت في قلبي ربيعـا اخضرا يسقي الحياة بكوثـر وبسلسـل
وعرفت فيك بشاشة الحبالذي قد عاد لي دنيا الهوى مـن اول
انـا لا ألام اذا جعلتـك .... وبغير رشف رحيقها لـم أثمـل
في الحب اعجاز ولا يـدري بـه من كان عـن دنيا الغرام بمعـزل

البحرين — احمد محمد الخليفة

ـ اهداك ؟ .. ونعم الهدايا .. وماذا كان عسى ان يهدينا ابن ست ام بكر سوى البلاوي .

كنت مندهشة لوجوده ... كان يجب ان اخمن .. لكن الغلطة ليست غلطته بقدر ما هي غلطتنا نحن .

رفع طارق الشبشب .. يـا للكارثة .. ما هذه الفتافيتالمتناثرة؟ ذهب فرقع لوز الى الابـد .. لا يستطيع احد اصلاحه كأي لعبة تتحطم .. ايضا لا تـوجد محلات تخصصت في بيعه . وتذكر كلمات بكر : « يمر احيانا عام واكثر لا نرى واحدا منه » كانت حسرته شديدة ... لم تمكنه من النطق حتى وهـو يتناول من يدها كوب اللبن . لماذا ركز نظره على وجهها كل هـذا الوقت .. هل كان يبحث عن كلمة تعبر عن سخطه وغيظه وبغضـه الشديد لها ؟ يبدو ان جميع الكلمات لم تكن كافية . فجأة .. قـذف بكوب اللبن على السجادة باقصى قوته .. خبطت الخادمة علـى صدرها مروعة :

ـ اقسم بالله العظيم لن امسحه حتى تأتي الهانم وترى .. وانـت يا وش البلاوي .. اعجبك هذا ؟ هيا انزل .. اتفضل .. بسرعة .

صاح طارق : اتركيه ربع ساعة .. لم يلعب بعد .

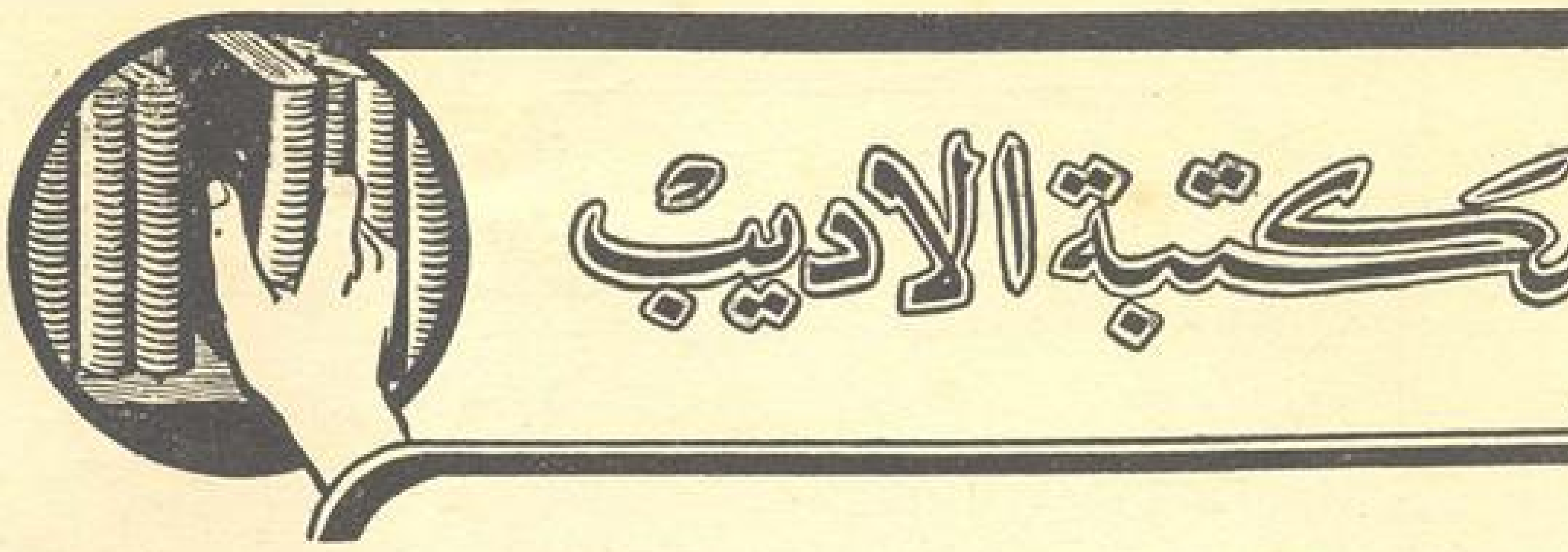
ـ ولا دقيقة .. حـان مـوعد حمامك .

ـ حسنا يا بكر .. اصعد مـرة اخرى .. لا تهتم بكلامها كان اليوم اجمل يوم عندى . صاحت . وصورة مكبرة ـ لتعب مضـن ينتظرها في تنظيف السجادة ـ تكربها .. بعد ان ظنت ان شقاء اليـوم قارب الانتهاء ؟

ـ بودي ان يفعل .. حتى اكسر رجله .

اسرع يقفز السلالم وفي نفسه يقين راسخ ان فرقع لوز لـم يمت .. فقط كانت اول مرة يعرف فيها انه يحس احيانا ببعض المشاعـر السعيدة عندما يلمس ظهره شخص فيقفز الى اعلى .. والمريرة عندما يلزه شخص آخر فينطلق قافزا الى اسفل .

القاهرة — احسان كمال



شروق الاسلام

تأليف ابراهيم المصري – ٢٤٠ صفحة – مطبعة دار الشعب بالقاهرة

المتتبع لنمو القصة وتطورها في ادب ابراهيم المصري يلحظ على الفور فوق متانة البناء وطرافة الاسلوب ، ذلك الانفساح الكبير في المضمون بما يحمله دائما من تفتح شامل على ابعد المشاعر رنينا في النفس واشدها لذلك تأثيرا على ضمير الانسان وفكره ومنازعه . وقد تعنف تلك المشاعر حتى تكون كالاعاصير وقد ترق حتى تصير كالنسمات . ولكنه في تناوله لما يتناوله منها خلال تخبط الانسان الدائم بين قوى الخير والشر او بين نوازع الهدى والضلال او بين عوامل الرجاء واليأس – ليحتضنها في اخلاص الفنان الكبير الذي لا يعنيه منها سوى النفاذ الى منابعها الاولى من طبيعة الفرد ونشأته وماضيه جهد ما يستطيعه الفن في هذا السبيل ..

ثم هو في تصويره لتلك المشاعر حريص كل الحرص على ان تظل محصورة في اطارها الخاص وخاضعة لتأثير الاحداث المتعاقبة بالغة ما بلغت تلك الاحداث من التشابك او التعقيد . فأثر الاحداث هو قبل غيره – فيما اعتقد – هدف الفنان الاصيل . الفنان الذي لا يعظ وانما يسجل ، ولا يتحكم في مصائر الابطال وانما يتركهم في حومة الصراع يستخلصون لانفسهم الطريق تبعا لما تمليه عليهم ظروفهم كافة . فالنفس البشرية ليست خيرا كلها وليست شرا كلها وانما هي تميل الى الخير او تنحرف الى الشر متأثرة بعواملها الداخلية وبما يطرأ عليها ايضا من مؤثرات ..

قد نقول عن احد القصصيين ان ابطاله يبدون وكأنهم خرجوا لتوهم من مأتم . ونقول عن آخر ان ابطاله يبدون وكأنهم خارجون من عرس . ونحكم لهذا السبب على الاول بأنه متشائم جدا وعلى الثاني بأنه متفائل جدا .. فهذه الاحكام وامثالها فضلا عما فيها من اعتساف فانها تظلم الواقع مثلما تظلم الفن والفنان نفسه .

فالواقع لا تبتعد فيه دار الاحزان كثيرا عن دار الافراح . والفنان حر في ان يلتقط شخصياته من اي قطاع اراد .. اذ لا يقيده في الحقيقة غير الحياة في وحدتها الكاملة .. يصدق هذا على كل عمل فني يستحق البقاء كما يصدق هنا بخاصة على مجموعة « شروق الاسلام » احدث ما اخرجه الينا ابرهيم المصري . ففيها نلتقي بما اسلفنا الاشارة اليه . نلتقي بالبناء المحكم والعرض الدقيق والاسلوب النابض الحي . كما نلتقي بذلك المضمون الواسع العميق والذي يختلف بطبيعة الحال من قصة الى قصة ولكنه ينتظم متألقا جليلا خلف مغزى عام يرضي الفن الرفيع كما يرضي انبل المثل .

وتعبر عن ذلك المغزى هذه الكلمة القصيرة التي صدر بها الفنان الكبير مجموعته الجديدة : « الانسان جسد وروح ، غريزة وعقل ، قلب وضمير » . وهذه المجموعة من القصص التاريخي تمثل الانسان وهو يبذل ويضحي ، ويغالب نوازع الجسد ليتفوق بالايمان والروح . كما تمثله في صراعه بين ثورة غرائزه وضوابط عقله ، بين مشتهيات قلبه وصوت ضميره . هذا الصراع الابدي الذي يكتوي الانسان بناره ، فيحترق وينسحق ، او يخرج بطلا ثبت الجنان ، صلب العزيمة مشرئب الفكر والروح نحو النور والهدى » .

تطالعنا في بداية المجموعة ثلاث قصص اسلامية رائعة اهمها « شروق الاسلام » استوحاها الكاتب من روح الاسلام السمحة الكريمة في صراعها المرير مع بقايا الوثنية العنيدة المتجبرة . وذلك خلال حروب الردة التي نشبت معاركها في اطراف الجزيرة على عهد الخليفة الاول رضي الله عنه .

وتدور القصة حول فتاة مسلمة تمتحن في دينها وعفافها وحبها اعنف امتحان وتخرج منتصرة ولو انها تكون قد دفعت حياتها ونفسها ثمنا لهذا الانتصار ...

ماتت عنها امها وسولت نفس والدها ان يرتد عن الاسلام ويلحق بجيش المارقين من اعدائه . فتركها وديعة عند شيخ مؤمن . ولكن ابن هذا الشيخ كان مشركا ، وكان فتى في مقتبل الشباب كما كان اخاها في الرضاعة ، يهيم بها حبا ويهجر امرأته من اجلها ثم يراودها عن نفسها مراودة دائبة ملحة فلا يظفر منها بغير الاعراض والصد . وكانت الفتاة تكتم انباء محاولاته الآثمة عن والده الشيخ الذي كان يعيش في بيت ولده مهملا منبوذا لانه كان من الذين شاهدوا الرسول واسلموا على يديه . ولكن عين الشيخ كانت تلاحظ كل شيء وترعى تلك الوديعة الغالية وتنتظر الفرصة لتخليصها ..

وها هي الفرصة توشك ان تسنح فهذا هو الشاب ينبيء الفتاة يوما بان طلائع الجيش الاسلامي قادمة ويريدها على ان تستسلم له الساعة او يحملها عنوة على الفرار معه ... ولا تستطيع الفتاة وهي تخفي فرحتها بما تسمع الا ان تجبهه بانه جبان ونذل . فيستل خنجره يريد ان يطعنها به . فيبرز والده الشيخ من مكمنه وفي يده سكين يطعن بها ولده فيصيب كتفه . وفي ثورة هياج الشاب وفي لوثة جنونه بما ظنه تواطؤا بين والده والفتاة يطعنهما معا فيرديهما قتيلين .

وتكون طلائع الجيش الاسلامي قد اقبلت في تلك اللحظة بقيادة القائد المظفر خالد بن الوليد . فيشهد الحادث المروع . وفي الجيش ابن عم الفتاة الشهيدة وخطيبها . فيهم لساعته بان يفتك بالشاب القاتل . ولكن خالد القائد ورجل الدولة الحكيم يستمهله يريد ان يسمع من الشاب قصته ... ويتهاوى الشاب فجاة معلنا ندمه وتوبته وايمانه بهذا الدين الذي استطاع ان يغرس في نفوس اتباعه اعلى مثل الخير والطهر والفداء .. ثم يطلب ان يلحق بمقدمة الجيش فيكون له ما اراد ...

تلك هي قصة « شروق الاسلام » في هيكلها المجرد . ولكن ذلك الهيكل المجرد يخرج من بين يدي ابراهيم المصري وهو ينتفض حياة وحيوية وحرارة وقد شحنه بما شاءت له عبقريته الفنية من تلك اللمسات النفسية العميقة والمباغتة التي يواكب بها اوصافه الحسية الدقيقة لهذه الشخصية او تلك ، والتي تتوزع على جوانب عمله في مهارة وتندمج مع سياقه الطبيعي . لا لتكون زخرفا وتوشية تلصق من خارج – ان جاز التعبير – بل لتكون هي نسيج القصة الحي في اروع صورها الممكنة .

فلنطالع هذا المشهد القصير في وصف احدى محاولات الشاب مع الفتاة قبل مقتلها على يده بقليل :

« يمين الحق يا هند ما عذبتك الا لاني احبك . وما آلمتك الا لاكون آسي جراحك . وما اجترأت عليك الا لارد عني عادية موت داهم او جنون . اني لاراك يا هند اينما سرت وحيثما حللت . اراك في

ظلال النخيل ، في طيران الحمام ، في قفز الظباء ، في تموجات شعاع القمر ، في نفسي . فرفقا يا هند بي ، وعطفا من لدنك علي ، وعفوا عن الكافر الاثيم الذي يحبك ويلثم خاشعا موطيء قدميك .

فتقول هند مذهولة :

ـ انادم انت على ما حاولت ؟

فيجيبها محدقا فيها :

ـ انا نادم على ذنبي ولكني غير نادم على رغبتي .. »

هذه العبارة « انا نادم على ذنبي ولكني غير نادم على رغبتي .. » مثال واحد فقط على دقة الكاتب في تصويره للبطل الذي سوف يستفيق على حياة جديدة بعد ذلك الحدث الدامي الذي يندفع الى ارتكابه والذي ستتهاوى تحت وقره دعائم بنيانه النفسي الجاهلي ، فتشرق بصيرته ويهتدي .

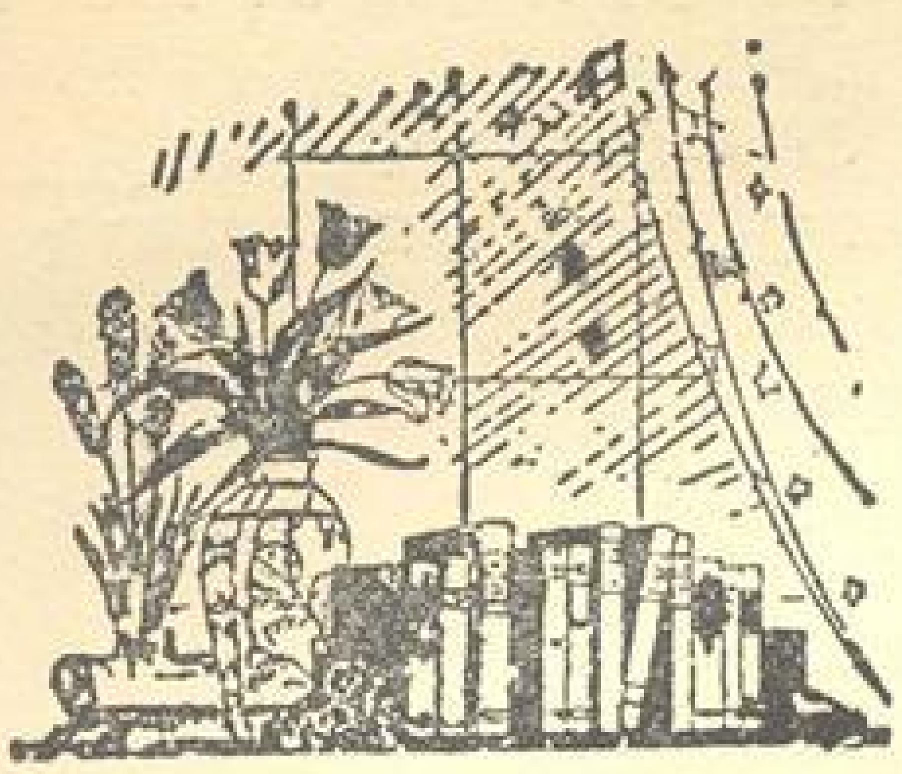
لا استطيع ان اضع القلم عن مجموعة « شروق الاسلام » وفيها عدا تلك القصص الاسلامية الثلاثة التي وقفنا عند اولاها وقفة ربما تكون قد طالت نسبيا ـ دون ان اقف وقفة طويلة اخرى عند قصة شائقة من بين الاثنتي عشرة قصة الباقية . قصة هي في تقديري من اروع ما انتجه خيال ابراهيم المصري وتلك هي « سحر المجهول » وقد استوحى الكاتب فكرتها على ما يبدو لي من واقعة معينة واجرى حوادثها في مصر الفرعونية القديمة . وموضوعها هو توزع الفنان بين ما تنشده روحه المتعطشة دوما الى الحياة والحب والحرية وبين ما يريده عليه الواقع من النزول على احكامه وضروراته ومبادئه . وبطل القصة الذي يدور الموضوع حوله هو بالضرورة فنان . فنان لحما ودما ، وان كانت مهنته هي الطب . يتخلى فجاة عن مهنته المربحة ويتخلى عن ابنة عمه الجميلة التي تطارده بهواها البريء الطاهر ويترك ايضا قريته ليتبع احدى تلك الفرق الجوالة يمارس مع افرادها هوايته المفضلة وهي (النفخ في المزمار) ويحوز اعجاب افراد الفرقة كما يحوز اعجاب المشاهدين .

ولكنه هو نفسه يؤخذ بسحر راقصة الفرقة فيقع في شراك حبها . وكانت لا تفتأ تلاحظ تاثيرها عليه فتفتن في اذلاله والعبث بعواطفه . فتنصرف بهواها الرخيص ـ على مشهد منه ـ الى ذلك المصارع الضخم الجثة المفتول العضل ، او الى هذا المطرب الوسيم الطامة الرخيم الصوت ، او الى هذا المضحك الاحدب المترهل الدميم البارع في التنكيت والقفش . وكلهم من افراد الفرقة . (وقد تانق الكاتب في اختيار هؤلاء وغيرهم ليكونوا تشكيلة طيبة لعمل فني ممتاز) وكان الفنان بطل القصة يرى كل هذا ويتعذب . ولكن الراقصة تتحول بعواطفها فجاة اليه . ذلك ان الفرقة تهبط ذات يوم بضاحية تملكها احدى الاميرات فتعجب الاميرة ببطلنا نافخ المزمار وتستدنيه منها وتريد ان تمنحه قدرا كبيرا من المال . ولكنه يرفض المال في ادب بالغ . وتقدر الاميرة مشاعره فتقول له ان المال هو على كل حال مالك وفي وسعك ان تأتي لطلبه يوم تدفعك الحاجة اليه ..

منذ ذلك اليوم والراقصة لا تفتأ تدور حول فتانا وتتملق عواطفه حتى تحمله ـ متعللة بحاجتها الماسة الى بعض المال ـ على ان يذهب الى قصر الاميرة ويطلب ماله .. وما ان تستولي هي على هذا المال حتى تختفي تماما ... تختفي مع من ؟ ... مع الاحدب المترهل الدميم البارع في القفش والتنكيت والذي عشقته لانه عرف كيف يضحكها .. ويرتد البطل الى ابنة عمه النقية . ولكنه بعد حبه العاصف للراقصة ، لا يرى في الفتاة غير صفاء بارد يخيل اليه انه يشبه صفاء الموت . فيلوذ بمهنته كطبيب ويهرع الى دار ليعالج فيها المرضى ، حيث ينقطع للحب المخصب اي حب الانساني الاعلى ممثلا في خدمة التاعسين المتالمين .

هذه النهاية الرائعة تملك علينا عقلنا وحواسنا ، وترتفع بنا الى افق من الفن الواقعي المثالي ، قل ان نلمس شبيها له في ادبنا القصصي .

الاديب



⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819

☎ المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير أديب

والواقع ان هذه القصة التي يغمرها الشعر وتسبح في جو خالب من موسيقى العاطفة والروح ، يرن صداها في نفوسنا رنين « سمفونية » شائقة ، عرف المؤلف كيف يوفق بين انغامها المتضاربة ، ويبدعها في وحدة فنية متماسكة متكاملة .

واما قصة « المرأة والقدر » فهي ايضا من روائع ابراهيم المصري.

وفكرة القصة هي ان المرأة قد تعصف بلبها الاحلام العريضة ، فتظل محرومة دون ان تفقد الامل في تحقيق احلامها يوما . بل لعل املها يتضخم كلما طال حرمانها . ثم تظفر من الدنيا فجاة بالكثير فلا تقنع به وتظل تطلب المزيد . حتى اذا اوشكت ان تحس بالاكتفاء ثم ضربتها الاقدار واضطربت قليلا او كثيرا . فانها في الغالب لا تستسلم بل تظل اطماعها كامنة فيها . فتعود وتتحدى وتكافح وتجاهد ثأرا لانوثتها المهزومة وسعيا وراء آمالها واحلامها .

فانت ترى ان الطرافة في فن ابراهيم المصري في ازدحام قصصه بتلك المعاني النفسية الشفافة الموحية التي تتجمع كالاضواء تنبثق من جواهر نادرة . فلا يسع القارىء المشاهد الا ان يهتف : « هي رائعة ... » ثم يصمت طويلا ويتأمل ..

وبعد ، فهذه المجموعة النفيسة قد اثرت ولا ريب مكتبتنا العربية. واني لاتمنى لصاحبها الكاتب القصصي الكبير حياة مديدة يتحفنا ايضا خلالها بالشائق الممتع من الاعمال .

طنطا ـ مصر **ابراهيم سعد الجندي**

•

« القانون في الطب » لابن سينا

شرح وترتيب جبران جبور ـ تقديم الدكتور خليل ابو خليل ـ تعليق الدكتور احمد شوكت الشطي ـ ٣٣٦ صفحة حجم كبير ـ منشورات مكتبة الطلاب ببيروت .

يختلف المؤرخون في مقدار ما الفه الشيخ الرئيس ابن سينا من مصنفات ، فبينما يدعي بعضهم ان كتبه لم تتعد المائة ، فقد زعم آخرون انها بلغت مائتين وستة وسبعين كتابا .

ومهما يكن من امر هذا الخلاف ، فثمة اتفاق اساسي على ان اهم كتب ابن سينا الفلسفية هو كتاب « الشفاء » الذي يقع في ثمانية عشر مجلدا ، والذي اختصر في ثلاثة مجلدات ، تحت عنوان « النجاة » ، كما ان اهم كتبه الطبية كتاب « القانون » الذي يقع في اربعة عشر مجلدا .

يقول ابن سينا في مقدمة كتاب « القانون » : اصنف في الطب كتابا مشتملا على قوانينه الكلية والجزئية اشتمالا يجمع الى الشرح الاختصار ، والى الايفاء الاكثر حقه من البيان والايجاز » .

وكتاب القانون يتفرع الى مبحثين : نظري وعملي ، يتوزعان بدورهما الى خمسة اقسام :

اما المبحث النظري ، فيتضمنه القسمان الاول والثاني من الكتاب، وفيهما يتحدث المؤلف عن وظائف الاعضاء وعلم الامراض وحفظ الصحة.

واما المبحث العملي ، ففي القسم الثالث من كتاب « القانون » يتناول ابن سينا بالبحث الامراض العامة ويشرح الاعضاء ، ابتداء بالرأس ، وبعد ذلك يصف الادوية وطرق المعالجة ، وابن سينا يصف هذا القسم العملي بانه « الحافظ للصحة والمعيد لها » . وفي القسم الرابع ، يتحدث ابن سينا عن الامراض العامة التي لا تختص بعضو بعينه كالحميات والطاعون والجدري ، ويصف لها الادوية . والقسم الخامس والاخير يبحث في الادوية المركبة وعلم تركيبها ، ويتناول بعض المسائل التي الم بها المؤلف عن طريق التجربة .

ومن الملاحظ ان ابن سينا ، من خلال كتابه « القانون » ، لم يخترع الطب اختراعا ، وانما حذا حذو اسلافه ، واضاف الى ما اخذه عنهم بعضا من تجاربه واختباراته . وفيما كان الرازي من اتباع جالينوس ، فقد كان ابن سينا من اتباع ابقراط وارسطو .

ولا ريب في ان كتاب « القانون » هذا كان ذا قيمة كبرى ، فاولع به الغربيون في القرون الوسطى ، ولبثوا يدرسونه في كلياتهم وجامعاتهم حتى اوائل القرن الثامن عشر ، ولاسيما في « لوفان » وفي « مونبلييه » .

هذا عرض سريع لمضمون كتاب « القانون » ولاهميته العلمية التاريخية التي جعلته ، في القرون السالفة ، في طليعة المراجع العليا بجامعات اوروبا .

وقد قادنا الى هذا العرض ، ظهور كتاب جديد في عداد منشورات « مكتبة الطلاب » ببيروت ، بعنوان « القانون في الطب » لابن سينا ، وقد اهدي الينا من الناشرين الكرام ، وسئلنا ابداء رأينا فيه بطريقة موضوعية ، مجردة ، بعيدة عن الاعتبارات الخاصة .

وحقيقة الامر ان عنوان الكتاب لا يتفق مع مضمونه ، لان ما تضمنه يتعلق حصرا ببعض الادوية المفردة والنباتات ، كما يشير شارحه ومرتبه الاستاذ جبران جبور الذي يتضح لكل منصف انه بذل جهودا مباركة لشرح هذه المفردات وللبحث والتنقيب عن اصولها ، ومعانيها ، فضلا عن ذكر مرادفها في اللغة الاجنبية ، كلما تسنى له ذلك .

واذا كنا ننوه بمقدمة الدكتور خليل ابو خليل رئيس دائرة الارشاد الصحي في وزارة الصحة العامة اللبنانية ، للكتاب ، وبرسالة الدكتور احمد شوكت الشطي رئيس منظمة الهلال الاحمر العربي السوري ، الى شارح الكتاب الاستاذ جبران جبور ، حول كتاب « القانون » ، فانه لا يفوتنا ان ننبه الى ما اتفقا عليه ، حول القيمة التاريخية وحسب التي بقيت للادوية النباتية المذكورة في كتاب « القانون » ، بحيث ان الكتاب اصبح جزءا من تراثنا القديم ، ولم يعد ملائما الملاءمة كلها لما آل اليه العصر من تطور على الصعيدين الطبي والعلمي .

لذلك ، فقد كنا نتمنى لو ان الاستاذ جبران جبور ، بدأ من حيث كان يحتم عليه التحقيق العلمي السوي ان يبدأ بحيث عمد الى تحقيق المبحث النظري من كتاب « القانون » ، وهكذا حتى تنتهي جميع اقسام الكتاب ، واذن لكانت خدمته الى التراث العربي اكبر ، ولكان انجازه العلمي اعظم قيمة .

واملنا كبير بأن يعاد النظر في امكانية اخراج جميع اجزاء كتاب « القانون » ، وكتاب « الشفاء » ، و« النجاة » ، و « الاشارات والتنبيهات » ، وسواها من كتب الشيخ الرئيس ، لئلا تكون هذه النفائس عرضة للضياع او الاندثار على مر الزمان .

فوزي عطوي

•

لغتنا الجميلة

تأليف فاروق شوشة ـ ١٦٢ صفحة ـ كتاب الاذاعة والتليفزيون ـ طبع بمؤسسة روز اليوسف بالقاهرة

« الصفحات التي يضمها هذا الكتاب مختارات مما قدمه البرنامج الاذاعي « لغتنا الجميلة » الذي يجتاز الان عامه الخامس ، فقد بدأ اولى حلقاته في سبتمبر ١٩٦٧ محاولا من خلال حلقاته اليومية المتصلة ان يقدم ويعرض مواطن الجمال في لغتنا العربية من خلال نماذجها

الرفيعة : شعرا ونثرا ، ادبا وفكرا ، تراثا وحضارة ، بلاغة وبيانا ».

بهذه الكلمات يقدم المذيع الشاعر : فاروق شوشة كتابه القيم « لغتنا الجميلة » الذي صدر حديثا عن سلسلة الكتاب الشهري لمجلة الاذاعة والتليفزيون القاهرية ، وهي سلسلة جديدة صدرت في مايو الماضي وتهدف لتوصيل الثقافة بما فيها المواد الفنية والادبية والفكرية التي تقدمها الاذاعة بنوعيها : المسموعة والمرئية الى جمهور الكلمة المطبوعة .

والكتاب ينقسم الى سبعة فصول تحمل العناوين التالية : بعض الاسرار من لغتنا الجميلة ــ من اقوالهم : كلمات باقية ــ سؤال وجواب ــ من كل بستان زهرة ــ الشعر ديوان العرب ــ عندما يتكلم مجمع اللغة العربية ــ قل ولا تقل .

وقبل ان نمضي في تناولنا لهذا الكتاب بالعرض ، يجدر ان نشير الى نقطتين هامتين :

النقطة الاولى ، ان هناك كما هائلا وضخما تملكه الاذاعة من التراث الادبي والفني والفكري الذي يتمثل في المواد والبرامج الثقافية التي شارك ويشارك بها اعلام وقادة الفكر والثقافة ، ولكن هذا التراث الضخم ظل حبيسا مسجلا على اشرطة الاذاعة ، وبالتالي لم يستفد به سوى جمهور المستمعين ، وحرم منه جمهور الكلمة المقروءة .

اما النقطة الثانية ، فهي تتمثل في حاجتنا الشديدة والماسة الى مداومة واستمرار البحث والدراسة والتنقيب في تراثنا الادبي واللغوي بما فيه التراث الاذاعي ، وذلك بقصد اعداد المزيد من الدراسات والبحوث في المجال اللغوي ، لكي نستطيع ان نسد الفراغ الذي تعاني منه لغتنا في المكتبة العربية ، فلا شك ان هناك نقصا ملموسا في المؤلفات اللغوية بالمكتبة العربية .

ومن هنا ، فان هذا الكتاب الذي يدور حول لغة الضاد ، لغتنا العربية ، هو محاولة موفقة ومخلصة من المذيع الشاعر فاروق شوشة ، صاحب البرنامج الاذاعي اليومي « لغتنا الجميلة » الذي يقدمه من البرنامج العام ، ذلك لان الكتاب يحقق للكلمة المذاعة فرصة الوصول الى جمهور القراء ، كما انه اضافة جديدة في مجال البحوث والدراسات اللغوية .

ترى ، كيف ينظر العرب الى لغتهم الجميلة ؟ .. يقول الاستاذ فاروق شوشة في كتابه : « منذ قديم ، والعرب يدركون قيمة لغتهم ، يحثون على تعلمها وتجويدها والتزود بآدابها ، ويرون ذلك جزءا من الخلق القويم وسمة للانسان الكامل » .

وحول هذا قال « عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه » : « تعلموا العربية ، فانها تثبت العقل ، وتزيد في المروءة » .

ويقول الخليفة الاموي « عبد الملك بن مروان » : ما الناس الى شيء من العلوم احوج منهم الى اقامة السنتهم التي بها يتحاورون الكلام ، ويتهادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها ، ويجمعون ما تفرق منها . ان الكلام قاض يجمع بين الخصوم ، وضياء يجلو الظلام ، وحاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى الاغذية » .

وهكذا نجد ان العرب ، قديما وحديثا ، نظروا الى لغتهم نظرة ذات معنى ودلالة كبيرة ، ليس باعتبارها اداة للتفكير والتخاطب فحسب ، بل بوصفها سمة ضرورية وهامة من سمات الانسان الكامل : عقليا وخلقيا .

واذا القينا نظرة ــ ولو عابرة ــ على تاريخ اللغة العربية ، فسوف نرى ان العرب في كل العصور ، عصرا بعد عصر ، قد احاطوا لغتهم بهالة من الاهتمام والعناية والاعتزاز والقداسة .

ولا شك ، ان هناك الوانا من الجمال في لغة الضاد ، وفي ذلك يشير الاستاذ فاروق شوشة الى بعض السطور التي وردت في كتاب « لغتنا الشاعرة » للاستاذ عباس محمود العقاد حيث يقول : « من الوان الجمال في لغتنا العربية اتساعها للمعاني المجردة والمعاني المحسوسة ، وتطور هذه المعاني جيلا بعد جيل من اصولها اللغوية الى دلالاتها ومعانيها الجديدة .. وطريقها لتحقيق ذلك هو المجاز » .

ولعل المتامل اليوم في لغتنا الجميلة التي نستعملها الان يلاحظ ان هناك كثيرا من الاساليب والكلمات التي شاع استخدامها ، وكلها تعبيرات مستحدثة تسللت الينا نتيجة عدة اسباب منها : الترجمة والاحتكاك والتفاعل بين اللغات ووسائل الاعلام كالصحافة والاذاعة .

والى جانب هذا ، هناك بعض الاخطاء الشائعة على الالسنة والاقلام ، ومن بينها خطأ يتصل باستعمال الكلمات العربية في احوال معينة ، مما ينتج عن هذا الاستعمال الخاطىء البعد عن دائرة الصواب ، ويسوق المؤلف امثلة عديدة نشير الى بعضها على سبيل المثال ، فالبعض يقول « اتخذت فلانا كصديق » والصواب ان يقال « اتخذت فلانا صديقا » ومثل « تحادث فلان مع فلان » والصواب ان يقال « تحادث فلان وفلان » ، ويخطيء البعض في استعمال كلمة « طالما » فيقولون خطأ « لن احضر طالما انني مريض » والصواب استعمال كلمة « ما دام » بدلا من كلمة « طالما » فيقال « لن احضر ما دمت مريضا ».

وان احدا لا يستطيع ان ينكر الدور الكبير الذي يقوم به مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجال نظره في بعض الكلمات والالفاظ والاساليب الشائعة وذلك بتحقيقه وضبطه لها واقراره لصحتها وتحديده لمجالات استعمالها الصحيح .

ويختتم الاستاذ فاروق شوشة كتابه بقوله : « يتطلب منا الوعي باسرار لغتنا الجميلة تمييز الفروق بين الوان التعبير المختلفة ، والتعرف على الموطن الصحيح لاستخدام كل كلمة ، وكل تعبير في كلامنا الفصيح » .

ولئن حرص المؤلف في تصنيفه للكتاب على ان يكون ممثلا للالوان المتعددة التي قدمها في برنامجه الاذاعي « لغتنا الجميلة » ، وان تظل المادة التي قدمها كما هي دون اضافة او اختصار لكي تظل محتفظة بتلقائيتها وبساطتها ، فانه في الوقت نفسه كان حريصا على ان يشير الى بعض المراجع والمصادر التي استعان بها حتى يمكن لمن شاء المزيد ان يرجع اليها .

والحق ، ان هذا الكتاب هو نافذة مفتوحة نطل منها على لغة الضاد ، لغتنا العربية ، بكل ما فيها من جمال وسحر واصالة ، وقيمة الكتاب تتجلى في الكشف عن مواطن الجمال في لغتنا ، كما تتجلى في تذوق هذا الجمال .

مصر الجديدة — **عبد الرحمن طاهر شلش**

•

بنات الهديل

مجموعة شعرية باللغة العامية – راجي عشقوتي – ١٢٨ صفحة – منشورات دار صادر ببيروت – مطبعة صادر بيروت

من مزايا راجي عشقوتي الكثيرة واحدة لعلها ابرزها جميعا . انها ميزة البساطة . والذين منا الفوا هذه الهالات الخارجية من كل نوع التي اعتاد الكثيرون من فنانينا هذه الايام – وربما في سائر الازمان – ان يحيطوا بها انفسهم ، يترددون اذ تقع ابصارهم على راجي كما ترددت في ان يصدقوا بانه شاعر . فلا زوائد او نواقص في قيافته على الاطلاق ، ولا طول او قصر في الشعر والشارب واللحية . ولا هو كأسد المتنبي في مشيته حتى كانه آس يجس عليلا . ولا هو ان تحدث تعمد الابهام في حديثه فاكثر من ذكر المعاناة مثلا ، والتجربة ، والوجودية ، والتمزق ، والصورة والرمز ، ناهيك بالجزالة والجرس والديباجة . ولكن راجي مع كل هذا ، او على الرغم من كل هذا شاعر . وقد فرض نفسه على عالم الشعر بثلاثة دواوين رابعها هو موضوع هذه الكلمة .

ان بساطة اعتمدها راجي عشقوتي في شخصه قد ابت الا ان تتسرب الى شعره ايضا . والذي اعنيه بتلك البساطة ليس فقط انه اختار اللغة اليومية متنفسا لاحاسيسه ومشاعره في جميع قصائد هذا الديوان ، بل ان جميع قصائد الديوان ايضا تدور حول البسيط البسيط من الاشياء حولنا التي لكثرة ما يراها الناس قل ان يروها . مثل هذه الاشياء « زيتوني » « شجرة الحي » « كانون جمر » «صياد» « بلا مربى » « شيطني » وغيرها من المهملات التي تطرق اليها شعر عشقوتي .

والذي يذكر للشاعر في قصائده البسيطة تلك انه استطاع في اكثر من واحدة منها ان يكون امينا لوظيفة الفن الكبرى التي هي المحك الاول والاخير لتقييمه . ووظيفة الفن الكبرى هذه هي ان يستطيع الفنان ، اذ يتصدى للبسيط والعادي والمبتذل في نفسه وفي الوجود من حوله ان ينفذ منه عبر فنه الى مدلولاته المصيرية والكونية والمطلقة .

ان نصور نملتين مثلا تقتتلان ، مهما بلغنا من دقة في تصويرهما ليس وظيفة الفن . اذ كل عين مبصرة في الوجود قادرة على ان تبصرهما وربما بصورة ادق . ووظيفة الفن هي ان نتمكن من النفاذ عبر الصورة التي نرسمها للنملتين المقتتلتين ، الى ملحمة الثنائية في الوجود الاعظم .

والذي يشفع للعدد الكبير من قصائد « بنات الهديل » التي تصدت للعادي والآني والبسيط ولم تستطع ان ترفعه عن عاديته وآنيته وبساطته ، ان طائفة قليلة اخرى من شقيقاتها قد تجسد فيها شيء من غرض الفن الاصيل . مثل هذه القصائد القليلة « انانية » ، « كانون جمر » ، « زيتوني » ، « وشجرة الحي » . ولعل هذه الاخيرة اجملها واصفاها :

« وين رحتي ؟ يا شجرة الحي
من قبل كيف كنتي ! ما احلاكي !
مزهري جنينة غرام وفي ،
وقلوبنا تزهر عملقا كي
من ثيابك مين عراكي
وما بقى فيكي ولا ورقة اليه ؟
ذبلو عيونك !
نشفو من المي !
وشو بكي زغرتي ؟
وهيك مثل الضايعة صرتي ؟
وكلك تغيرتي ؟
عمبسألك .. ما بتقدري تردي ؟
ما بدك تردي ؟
ومن هالسؤال المر شو بدي ؟ !
كلنا في هالدني شجرا
وفي لها ايام خير وشر
بتضحك باول عمرها خضرا
وبتشيب وبتصفر
وبيهر منها الريش
وبتموت حتى تعيش » .

لست من الذين يقيمون وزنا لهذا اللغط الذي يسهم فيه الكثيرون في ايامنا حول الشعر العامي والشعر الفصيح وحول اي من اللغتين اجدر بهذا الفن . ففي اعتقادي انه ليس ثمة شعر عامي وشعر فصيح . بل هناك شعر اذا سف كان عاميا حتى في فصيحه واذا ارتقى كان فصيحا حتى في عاميته . فنحن نعرف عن شعراء كثيرين خلقوا لغتهم في حين اننا لا نعرف في تاريخ البشرية عن لغة خلقت شاعرا . واذا كان لا بد من قسمة للشعر الى نوعين فتلك القسمة لا تكون بين شعر عامي وشعر فصيح بل بين شعر فعل وشعر انفعال . اما شعر الانفعال فهو ذاك الذي يكون الشاعر فيه عبدا للعالم الخارجي ، ينفعل باشيائه فيحاول ان يعبر عن انفعاله . كأن تستثير الشاعر امرأة جميلة او روضة غناء ، او ذكرى حبيبة او شلال هادر او غير ذلك من الامور المباشرة التي تلهب احساسه وتدفعه الى ان يقول فيها الشعر . ان شاعر الانفعال مهما اجاد واخلص في تصور انفعاله وتصويره يظل عبدا للاشياء ، كما يظل شعره على جودته ابدا دونها . ذلك لان السبب دائما اعظم من المسبب كما ان الله اعظم في عين المؤمن من الوجود الذي خلقه . وان نحن غربلنا شعرنا العربي قديمه وحديثه على هذا الاساس سقط منه الكثير الكثير .

اما شعر الفعل فهو ذاك الذي لا ينتظر الاشياء حتى تفعل فيه ليستوحيها . بل انه يتناولها ليوحي اليها وليضفي عليها من ذاته كيانا جديدا اوسع واشمل واعمق منها بما لا يقاس . انه شعر العمارات الفنية التي نلمسها عند القلة من شعراء العالم الذين منهم دانتي وشكسبير وامثالهما . فعلى الذين يريدون للعامية ان تصبح لغة الشعر ان يخلقوا منها اثرا شعريا من النوع الفاعل لا المنفعل .

لست ابغي القول ان راجي عشقوتي قد خلق في بنات الهديل مثل هذا الاثر . ولكني اعتبر ان قيمة هذا الديوان هي في ذلك العدد القليل بين قصائده التي اثبتت ان خلق مثل هذا الاثر بالعامية ليس بالامر المستحيل

نديم نعيمه